"فراشة العصر الأندلسي" ولادة بنت المستكفي،
حلم عاشقين أشعل حرب الوزراء في الدراما التلفزيونية والمصادر والدراسات التاريخية

د. عزيز زروقي
باحث في التاريخ والمسرح والسينما والدراما التلفزيونية
المغرب

ملخص:

مسلسل "ملوك الطوائف" مسلسل ملوك السيناريو، والاخراج، والتمثيل، والانتاج، والموسيقى، والديكور، واللباس، والسينوغرافيا. اجتمعوا كلّهم وأخرجوا لنا رائعة السيناريست **وليد سيف**، والمخرج **حاتم علي** التي وضعت أحوال العرب المسلمين والأمازيغ الحياتية تحت المجهر لنرى بشكل واضح حالنا وتفككنا، وصراع طوائفنا بربط الماضي بالحاضر وتقليص مسافة الأمس من اليوم. نقلنا المخرج **حاتم علي** إلى أجواء ذلك الزمان بكل انتصاراته وانكساراته، فعرفنا على بطولاته وحكمة حاكميه، وأنس جلساته، وبلاغة حواراته وذكاء نسائه، وبطش ملوكه.

حبا الله **ولادة بنت المستكفي** شخصيتها الآسرة، وجمالها وذكائها عز نظيرهما بين بنات جنسها، وحسب ونسب منحاها الثقة بالنفس وشجعاها على افتتاح صالون أدبي في قصرها العامر الذي استقطب الوزراء والنبهاء الشعراء والأدباء وأهل الفن. حلّت السهرات وطاب السمر، وتألق الحوار، كذلك وهبها الله بحة أنثوية مدّت صوتها بدفء آسر وهي تنشد أبيات الغزل لعشاقها وعشيقها **جمال سليمان الذي قلد وأتقن أنفة وكبرياء الوزير والشاعر ابن زيدون وحفظ له شعره وأحسن القاءه.**

و منافسه الوزير **ابن عبدوس** الذي كان يغار منه، فاقتصر شعره على الاطراء، وسخر قصائده للتزلف والتملق ليصل مبتغاه، حتى كان السبب في رمي **ابن زيدون** سجن قرطبة **بعد أن** كتب رسالة على لسان **ولادة**، وهي الرسالة المعروفة ب "الرسالة الهزلية"، التي سخر منه فيها، وجعله أضحوكة، أفرط في ذمّ غريمه حتى وصفه بالفأر في قصيدة شعرية هجائية قاتلة قضت على عشق **ولاّدة لابن زيدون.**

مدخل:

ولّادة بنت المستكفي أميرة أندلسية من بيت الخلافة الأموية أبوها **المستكفي بالله** وأمّها الجارية الإسبانية الجميلة (سكرى)، أخذت عن أمّها الجمال والجرأة، وبشرتها البيضاء الحليبية، وشعرها الأصهب الساحر، وعينيها الزرقاوين، وجرأتها التي جعلتها تخالط كبار رجال الدولة والشعراء في عصرها؛ لتناقشهم وتحاججهم وتنافسهم في الإبداع وقرض الشعر وجمال إلقائه دون منافسة تذكر منهم، وإلى كل من كان يحضر مجلسها وإعجازهم في مناسبات كثيرة بقرطبة. وورثت العزة والنسب الشريف، وحبّ حياة البذخ عن أبيها الخليفة **المستكفي بالله**، السيئ السمعة؛ بسبب استيلائه على الخلافة بالقوة والمكائد والدماء. إذ رماه **أبو حيان التوحيدي** بكلمات قاسية، قائلا: "سقيم السر والعلانية، أسير الشهوة، ورجل بهذه الصفات لم يكن يتوقع".

كانت **ولّادة** أميرة شجاعة، كريمة الحسن واليد، وشاعرة مميزة امرأة لا مثيل بجمالها وثقافتها، وفصاحتها، وحكاياتها الكثيرة مع العشق، طارت شهرتها في عصرها، ونقلتها إلى عصرنا؛ لتصبح من أشهر النساء في التراث العربي الأمس واليوم. حظيت بحب واحترام كبيريْن؛ وجاهرت بعشقها وبملذاتها، لدرجة إنها كتبت أبيات شعر جريئة في عصرها آنذاك، وطرزتها على عاتقي ثوبها. صيتها طار وحلّق في ربوع الأندلس حتى أطلق عليها المؤرخون "فراشة العصر الأندلسي"، فكانت بمثابة الشمس التي تشرق وتغيب في خيال كل من عشقها. وصفها المؤرخ الأندلسي **ابن بسّام** بقوله: "ذات وجه جميل لم تشرق الشمس على أجمل منه".

صنعت من نفسها بفصاحتها وبلاغة ما تقرضه من قصائد شعرية لا مثيل لها في الأندلس، رغم كونها ابنة الخليفة الخامس عشر من الأمويين في الأندلس، إلا أن نسبها لم يكن السبب الأول لشهرتها، بل إن مجلسها الأدبي الذي كان يعقد في بيتها من أكبر أسباب شهرتها داخل الأندلس وخارجها. كان لهذا الاجتماع في حضرة الجمال والثقافة والنباهة ما كان من صراعات شخصية تملقا وتقربا من الشاعرة الجميلة، ولعل أشهر هذه الصراعات ما حدث بين الوزيرين **ابن زيدون** و**ابن عبدوس** اللذان كانا يحضران مجلس ولّادة ويتنافسان على الفوز بقلبها.

كان من السهل على الشاعرة الحسناء أن تؤرق مضجع كل من رآها، ولم يستطع أحد أن يفعل بها ذلك غير الشاعر **ابن زيدون** أكثر العشاق المتيمين بها أهمية وشهرة بين عشاقها ومحبيها في عصرها. كان يحضر مجلسها وحدثت بينهما سجالات شعرية ومبارزات فكرية تؤكد فيها **ولّادة** دائما على نبوغها وتمكنها من ناصية الشعر، رغم عشقها وميل قلبها للكثير من كبار رجال الدولة من الأعيان والوزراء والنبهاء، وأشهر شعراء الأندلس. كلّهم كانوا يقصدون صالونها الأدبي، أول منتدى ثقافي من نوعه في زمانها؛ ليناقشوا معها شؤون الأدب بحرية دون قيود، وكانت مجالستها لهم ومناقشتها القوية الحجة معهم؛ الباب الذي فتح قلوبهم إليها قبل عقولهم.

بدأ العشق يظهر بين العشيقين فيما يقرضانه من أشعار، فكانا يلتقيان تحت ظلام الليل خوفا مما قد يقوله الناس، حيث لا تخفى أخبارها عن أحد من العامة أو الخاصة. هام **ابن زيدون** بولّادة عشقا، وعرف باسم "صاحب ولادة"، رغم أنه "صاحب وزارتين" في عصره عند **ابن جهور** ملك ملوك قرطبة، إلا أن شهرته زادت أكثر بعد عشقها له، وعشقه لها. أما هي فقد كانت بمثابة العاشقة المراوغة، فعلى الرغم من حبها **لابن زيدون** إلا أنها كانت تتعمد إثارة غيرته وهي المحاطة بالمحبين والعاشقين من كل جانب، ومن هؤلاء؛ **أبو عبيد الله القلاسي** و**أبو عامر بن عبدوس**؛ اللذان كانا من أشد منافسي **ابن زيدون** في عشقها.

ابن عبدوس الذي كان صديقا مقربا **لابن زيدون** لكن عشقهما للمعشوقة نفسها جعلهما يكنان العداء لبعضهما خاصة **ابن عبدوس** الذي حاك الكثير من المكائد ليبعد **ولّادة** عن معشوقها الذي كتب الكثير من القصائد الهجائية في صديقه. واصلت **ولّادة بنت المستكفي** إثارة غيرة **ابن زيدون** ما جعله يقرر هو الآخر إثارة غيرتها؛ فتعمّد في إحدى الليالي المبالغة في التعبير عن إعجابه بعذوبة صوت إحدى قينات **ولّادة** وهي تغني، وليته ما فعل، فقد كان كبرياء **ولّادة** أقوى من أن تتحمل الشعور بالمذلة.

راحت **ولاّدة بنت المستكفي** تفتح المجال أكثر أمام الوزير الشاعر **ابن عبدوس** للتقرب إليها، فما كان من هذا الأخير إلا أن يستغل الفرصة ليسرقها من **ابن زيدون**، وراح يغدق عليها الهدايا والعطايا والأشعار، فتعاظم في قلب **ابن زيدون** أن يجاهر **ابن عبدوس** بعشقه لمعشوقته وهو الذي لا يملك شيئا مما يملكه **ابن زيدون** من الشجاعة والوسامة والفصاحة، واجتماع غيرة **ابن زيدون** على معشوقته.

حينما اشتد التنافس على من يحظى بقلب **ولادة** انسحب **ابن القلاسي**، ولكن **ابن عبدوس** غالى في التودّد إليها، وأرسل لها رسالة ليستميلها إليه، فلما علم بها **ابن زيدون**، كتب إليه رسالة على لسان **ولادة**، وهي الرسالة المعروفة ب "الرسالة الهزلية"، التي سخر منه فيها، وجعله أضحوكة، أفرط في ذمّ غريمه حتى وصفه بالفأر في قصيدة شعرية هجائية قاتلة قضت على عشق **ولاّدة لابن زيدون**.

على الرغم من توسلات **ابن زيدون** للصفح وكل ما كتبه فيها من قصائد مطولة يعبر فيها عن ندمه وعشقه لها، إلا أنها أبت أن تسامحه، وفضلت العيش في عذابها، أما **ابن عبدوس** فقد ظل يكيد **لابن زيدون** حتى كان سببا في رميه السجن، ليضمن بعده عن **ولادّة**، وظل **ابن عبدوس** يتقرب منها حتى وهي عجوز، لكنها أبت الزواج منه، ومن غيره، حتى أن وفاتها المنية. ولم يعرف المؤرخون موعد ولادتها أو وفاتها بشكل دقيق، إلا أنهم أكدوا جميعا أنها عاشت لفترة طويلة جدا.

توفيت وعمرها ما بين الثمانين والخمسة وثمانين عاما، عاشتها في ارتحال روحي حرّ ما بين الشعر والعشق، ولم تكتف بهما، وظلت في حاجة لهما حتى آخر يوم من حياتها. وتناقلت الألسن والشفاه في ذاك الزمان الجميل شعرها هذا، وتحولت أبياتها هذه إلى أجمل ما قيل من شعر في العشق ودعوة العشيق للعشيق. تاركة خلفها قصة يستلهمها الشعراء والعشاق، منذ زمنها الماضي حتى زمننا هذا.

مسلس "ملوك الطوائف" بمجمله فرشة ثقافية تاريخية وثائقية دسمة، عمل درامي تلفزيوني مرئي يجعلك تعيش الحدث بحذافيره، أسقط الماضي على وجع الحاضر في تناغم يكاد المتلقي يعيش يومه في أمسه في سياق تاريخي فيه قليل من اللبس، لأنه كتب بقلم أمين على تاريخه، وماضيه، وواع إعادة قراءة التاريخ من جديد؛ لعلنا نلتمس منه الحكمة والموعظة في مساوئ تفرق ممالك الطوائف، وضعف ملوكها، مما اضطرهم الى الاستعانة بالغير، فسقطت الممالك واحدة تلو الأخرى، ووارى الزمن حقبة من حقبات العز في تاريخنا المجيد.

لم أجانب الصواب إن قلت إن هذا المسلسل هو من أروع المسلسلات التاريخية التي شاهدتها بعد مسلسل "صقر قريش" و مسلسل "ربيع قرطبة"؛ والتي تتناول كلها تاريخ الأندلس منذ سقوط الخلافة الأموية في المشرق، وبدايتها في الأندلس، حتى نفي **المعتمد بن عباد** إلى "أغمات" في المغرب من طرف المرابطين. من حيث سلامة اللغة العربية وفخامتها ودقة المادة التاريخية وتنوعها، ثلاثيّة رائعة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، تجمع بين الدقة التاريخية والرؤية الفنيّة المتطورة.

أطال الله في عمر كاتب السيناريو الفلسطيني **وليد سيف**، ورحم الله المخرج السوري **حاتم علي**. لكل فريق مسلسل "ملوك الطوائف" كل عمل وأنتم بألف خير!

فأية لغة سحرية تلك التي وسعت كل تلك الأحداث؟ وأية قدرة رائعة تلك التي أظهرت حياة الموات وبعثت في شخوصها الروح؟

المبحث الأول: "فراشة العصر الأندلسي" ولادة بنت المستكفي، حلم عاشقين أشعل حرب الوزراء في الدراما التلفزيونية:

مشهد في حوار: ابن زيدون وابن عبدوس وشعراء آخرون في صالون ولادة بنت المستكفي[1]

–ابن زيدون في ضيافة ولادة، يأتي على فرسه. **–أحد الشعراء:** ابن زيدون الشاعر. **–أبو عامر ابن عبدوس:** أبو الوليد طاب مساءك. **–ابن زيدون:** أبو عامر بن عبدوس ما حسبت أن ألقاك هنا. **–أبو عامر:** ولما لا لم تبرز، هل دعتك للزيارة أم؟ **–ابن زيدون:** وتحسبني متطفلا مثلك؟ –أبو عامر: لست متطفلا، بل تسأل عني كلما غبت مضطرا. –**ابن زيدون:** نعم، لا ريب وأي غَادة تصبر على الوزير ابن عبدوس، المال والجمال وحسن المقال، وهذه الثياب (يتلمس لباسه من الحرير) حرير، يا أبا الوليد، أما علمت حرام على الرجال حلال على النساء، لعلك لم تخالف الحكم؟ (قهقهات ضيوف ولادة). **–أحد الشعراء:** ألا ترد على ابن زيدون، ما زاد على أن جعلك امرأة. **–ابن زيدون:** ما جعلته إلا حيث جعل نفسه، يا عبدوس لا تنقبض إن هي إلا دعابة ألسنا أصحابا؟ ولكن بحق أنا معجب بهندامك يا عمر. (فجأة تقف الموسيقى وتدخل ولادة على الحاضرين في مجلسها). **–شاعر آخر:** انظرينا مطلع الشمس. **–ولادة:** ولم تره قد كذبت وعشي بصرك إذن، ما عشاه إلى طول النظر في الضوء الباهر. **–شاعر آخر:** سبحان الذي أعطى. **–ولادة:** وسبحان الذي منح (تنظر إلى ابن زيدون وتسأل) أليس هذا أبا الوليد بن زيدون. (تقترب منه) هل يبلغ الرجل أن يموت في محبوبة لا تصله يا أبا الوليد؟. **–ابن زيدون:** ذاك رجل لا عزم له وما هو بعشق في مذهبي. **–ولادة:** وما مذهبك فيه؟ **–ابن زيدون:** أصل من وصلني وأقطع من قطعني ولا أُعطي إلا بقدر ما آخذ، ولا أقيم في دار تحول عني أصحابها. **–ابن عبدوس:** ذلك حب مشروط ولا شرط على أحوال القلب بل يعطي العاشق ولا يبالي، كما أخذ وذل الرجال للرجال مرذول، أما التدلل للحبيب فبه. **–ابن زيدون:** هذا صديقي ابن عبدوس، ما علمت ان لك فلسفة في العشق يا ابن عبدوس، ولكنك لم تجبني عن سؤالي تلك الساعة. هذا الثوب البديع من أين أتيت به؟ أريد أن ابتاع مثله واحد لعمتي. (قهقهات وسخرية الجميع). **–ابن عبدوس:** لولا مقام السيدة ومقام الصحبة القديمة معك، لأوجعتك بقول يتناقله الناس. **–ابن زيدون:** ليتك تفعل لتدفع عنك تهمة العِيي. (قهقهات الجميع). **–ولادة:** لقد أغلظت عليه يا أبا الوليد. **–ابن زيدون:** لقد دعاني إلى ذلك، لا شرط على أحوال القلب يعطي العاشق، ولا يبالي أن يأخذ مغالطة في المنطق لا يقوم بها إلا مأفون. **–ولادة:** وكيف ذلك؟ **–ابن زيدون:** وهل يعطي العاشق حين يعطي إلا وهو يأخذ، فإن لذة الوصل لا تقوم إلا باثنين، فعطاء أحدهما أخذ وأخذه عطاء وما حاجة المعشوقة إلى رجل يعرض عليها من نفسه ما تأبى آخذه إلا أن تكون غاية العطاء باقة ورد وعقد جوهر وبضع ابيات من الشعر، ومن كانت من بيت عز فهي مستغنية عن ذلك. ثم يقول ذل الرجل للرجل مرذول إلا تذلله للحبيبة، وهذا يعني انتقاص لها من حيث أراد هو أن يرفعها وما يراد بها القول إلا أن الرجال أنداد، فإن ذل أحد للآخر نقصت كرامته، أما تذلل الرجل للمرأة فلا يعيبه في شيء، لأنها دونه في الأصل فهو متغلب عليها في كل الأمور في الحرب والسلطان والقوامة، فما عليه لو تذلل لها في شؤون القلب، واللذة حتى ينال حاجته منها وهو آمن على منزلته[2].

[1]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 18:10.

[2]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 22:34.

مشاهد ابن زيدون وابن عبدوس وشعراء آخرون في صالون ولادة بنت المستكفي[3]

[3]- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 18:12- 18:19- 18:28- 18:52- 19:04- 19:36- 19:54- 20:00- 20:23.

Lire (k)
19:04 / 40:11

Lire (k)
19:36 / 40:11

Lire (k)
19:54 / 40:11

Lire (k)
20:00 / 40:11

مشهد في حوار ابن زيدون وولادة بهو الصالون لوحدها[4]

–ولادة: إذن، فأنت تراها ندك؟ **–ابن زيدون:** ومن ينظر إلى الغادة الأموية، ولا يراها ندا ولا أرى كل هؤلاء الرجال كذلك. **–ولادة:** الغادة الأموية التي أَسهمتَ في إقصاء دولة آبائها. **–ابن زيدون:** يا سيدتي أنت الآن تبالغين في تقدير قوتي. **–ولادة:** أو لم تفعل؟ **–ابن زيدون:** ما ظننت أن لك شغلا بالسياسة. **–ولادة:** وما أسرع ما غيرت فيه رأيك، تقول: ما شأن الغادة اللغوب صاحبة القرط والخلخال بالأمر الكبير الذي يختص به الرجال، وكنت تتحدث عن الأنداد، هل نسيت أنني ابنة الخلفاء؟ قبل أن تواطأتم عليهم فما زلتم بهم حتى أقضيتم في البلاد. أنا ابنة المجد الغابر العظيم يا ابن زيدون. مجد الداخل والناصر. **–ابن زيدون:** يا سيدتي، لا يملك أمثالي وغيرنا أن يقوضوا ملكا عظيما إلا أن يقوضه أصحابه، فقد شهدت من الفتن مثل ذاك الذي شهدتي، فإذا فرغت منكم الآهلين سارع كل طامع إلى ملئه. وفيهم أشهر الناس إلا أن يتدخل أصحاب عقل فينصبوا إلى الأمر ما يرون كفايته. **–ولادة:** وأولئك بنو جهور. **–ابن زيدون:** لم يقبل أبو الحزم بها حتى اشترط أن يكون الحكم للجماعة، وهو رئيسها لا يقضي في أمر إلا برأيها وبمشورتها حتى يجد من له حق الولاية فينزل لها. **–ولادة:** ولكنه لا يجد ولم يجد، ألم يعثروا على هشام المؤيد كما يقال؟ فلما يبقى في اشبيلية، وهذه قرطبة عاصمة خلافته المغصوبة. ألم يرض أبو الحزم بدعوته؟ **–ابن زيدون:** فعل مضطرا، وكنت زعيم الفريق الذي أقنعه. **–ولادة:** ولما فعلت، وأنت تعلم ليس هشام على الحقيقة؟ **–ابن زيدون:** إنه هشام، ما اعتقد الناس أنه هشام، لعلي ما زلت أموي الهوى، والآن أدرك ذلك أكثر من أي وقت مضى. **–ولادة:** دعك من هذا يا ابن زيدون، فما تحول هواك إلى بني أمية إلى حين تحول ابن جهور، لم يعد لمجلس الجماعة إلا الاسم، فإن عُرض عليه ما يكره قال: لا أقضي إلا بأمر الجماعة ثم لا يكون شيء، ثم إذا عرض إليه ما يرضيه أمضاه بنفسه ثم حمل عليه الجماعة. لقد استبد بالأمر كله وجعله في نفسه وولده، وأنت هل حفظ لك صنيعك له في بادئ الأمر؟ أعطاك لقب الوزارة بلا وزارة، وجعلك الناظر على أهل الذمة، ويُسْفِرك إلى بعض أمراء الأندلس بين الحين والحين لحسن منطقك وقوة بلاغتك، وليس وراء ذلك شيء، ولا أحسب أن هذا يرضي غرورك. **–ابن زيدون:** تعنين مواهبي، إنك لا تعلمين من أموري وأمور الدولة أكثر مما ظننت. **–ولادة:** بالنسبة إلى غادة لعوب. **–ابن زيدون:** وأي غادة. **–ولادة:** هل وقعت في نفسك؟ **–ابن زيدون:** بقدر ما أنا وقعت في نفسك. **–ولادة:** إنك والله كما يقولون معجب دياه، كيف تعلم أنك وقعت في نفسي؟ **–ابن زيدون:** أمر تتراسل به الأرواح والأجساد فوق الكلام. **–ولادة:** دعنا ندخل فلا يتحدث الحضور بنا. **–ابن زيدون:** تخشين كلامهم. **–ولادة:** بل أخشى أن تنقطع بهم الآمال مني إذا حسبوا أني صرفت قلبي إليك دونهم. **–ابن زيدن:** وهذا غاية المراد. **–ولادة :** مرادك ربما لا مرادي . فأنا الأقوى ما دامت أمانيهم متعلقة بي أُدني إليهم ما لا ينالوا. **–ابن زيدون:** تتمتعين بخضوعهم وتذللهم. **–ولادة:** أستوفي حق قومي الذي ضيعه أمثالهم من الرجال[5].

[4]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 22:46.

[5]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 31:11.

مشاهد انفراد ولادة بنت المستكفي مع ابن زيدون[6]

مشهد في حوار: ولادة في غرفتها مستلقية على السرير مع خادمتها[7]

–خادمة ولادة: إني لأعرف معنى هذا السُهُومْ وهذه النظرات فما شهدت مثلها قبل اليوم منك؟ –ولادة: وما أدراك أنت؟ **–الخادمة:** ألست امرأة؟ **–ولادة:** وكل النساء سواء؟ **–الخادمة:** لا ولا كل الرجال سواء، فأنت أجمل النساء، وأعلاهن منزلة وأحسنهن شعرا، وهو أكثر الرجال وسامة وأرقاهم أصلا وأعظمهم شعرا فقد وقع الشبيه على الشبيه. –ولادة: وما شأنك أنت بالرجال الذين يحضرون مجلسي حتى تدققي النظر فيهم الزمي ما جعلت له. –الخادمة: العفو يا سيدتي. **–ولادة:** اغربي عني فلا حاجة لي بك الآن[8].

مشاهد ولادة مع خادمتها[9]

[6]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 22:51– 23:53.

[7]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 31:59.

[8]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 33:20.

[9]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 28:29– 28:31.

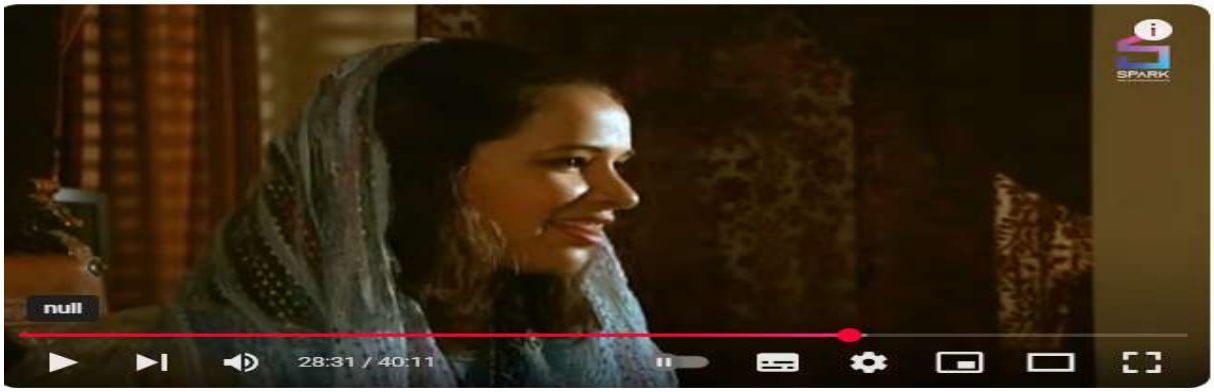

مشهد في حوار: خادم ولادة وخادم الوزير ابن زيدون، وابن زيدون[10]

–خادم ولادة: أمرت ألا أعطي الكتاب إلا للوزير نفسه. **–خادم الوزير ابن زيدون:** ومن أمرك؟ **–خادم ولادة:** وهذا لا يطلع عليه إلا (فجأة يظهر الوزير ويأخذ الكتاب ويقرأ):

ترقب إذا جن الظلام زيارتـــي فإني رأيت الليل أكتم للســـر

ولي منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

(يقدم خادم الوزير صرة نقود كهدية لخادم ولادة)[11].

مشهد خادم ولادة وخادم الوزير ابن زيدون، وابن زيدون[12]

مشهد في حوار: ابن زيدون ليلاقي ضيافة ولادة[13]

–ابن زيدون: حقا؛

ولي منك ما لو كان للشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لنم يسر.

[10]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 33:19.

[11]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 34:17.

[12]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 30:18.

[13]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 34:27.

–ولادة: ألم تقل العرب أعذب الشعر أكذبه؟ (تصب كأس الخمر). **–ابن زيدون:** وما لقاءنا في الليل وقد غفل الرقيب. **–ولادة:** قد اعتاصت علي مسألة في النحو، فأحببت أن أتدارسها معك، ورأيت أن هدوء الليل ادعى للفهم (تمده الكأس). **–ابن زيدون:** عرفت المسألة قبل أن سماعها، وهي بالضم، ضمي ولا تخشي خلل حتى ولو خالفت بذلك سيبوي[14].

مشاهد ابن زيدون في ضيافة ولادة ليلا[15]

مشهد في حوار: ولادة مع ابن زيدون وطلوع الفجر[16]

–ولادة: طلع الفجر أفلا ترجع إلى بيتك. **–ابن زيدون:** لا حتى أستوفي أبواب النحو جميعها. **–ولادة:** ألم تستوفها؟ **–ابن زيدون:** أراجع كلما فرغت منها، فأنا رجل كثير نسيان وذلك أثبت للعلم. ذلك الطائر تسمعينه؟ لقد عرفته هذا الطائر لا يصدح إلا مرة واحدة في العام. **–ولادة:** فهو يصدح لنا إذن. **–ابن زيدون:** إلا أنه لا يصدح حتى يعتمد بصدره على شوكة نافذة، فتنفذ فيه وما يزال يصدح وهو يحتضر حتى يموت فصداحه وموته سيان. **–ولادة:** فهيا، قم إذن لا نقعد حتى ينقضي صداحه. **–ابن زيدون:**

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك[17].

[14]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 32:06.

[15]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 31:42– 32:05.

[16]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت:35:45.

[17]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت:37:09.

مشاهد ولادة مع ابن زيدون وطلوع الفجر[18]

[18]- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 32:10- 32:19- 32:25- 32:33- 33:43.

مشهد في حوار: جارية ولادة تستقبل جارية ابن عبدوس حاملة معها هدية لولادة[19]

–جارية ولادة: سيدتي، جارية الوزير ابن عبدوس. **–ولادة:** وما تريد؟ **–جارية ولادة:** لا تريد إنما يريد سيدها، وهي رسوله. **–ولادة:** ألا ترين أنني أقرأ؟ **–خادمة ولادة:** أردها يا سيدتي؟ **–ولادة:** ادخليها لنرى ما يريد ذلك الرجل اللحوح اللجوج؟ **–جارية الوزير ابن عبدوس:** طاب صباح السيدة. **–ولادة:** كيف أصبح الوزير؟ **–جارية الوزير:** بخير، ما كانت السيدة بخير. **–ولادة:** ما وراءك؟ **–جارية الوزير:** قمر، اسمي قمر **–ولادة:** هذا الليل وفي النهار. **–الجارية:** سبحان من الذي خلقك وصورك في أجمل صورة. ما زال سيدي يصفك، فأقول عين الرضى حيث رأيتك الساعة، فعلمت أنه يقتصد. **–ولادة:** أيصفني لك؟ **–الجارية:** وصفا لا يخفى معناه على ما فيه من تكتم، لكن الوجه يفضح لواعج القلب. **–ولادة:** لم تقولِ لي ما ورائك[20]؟

مشهد جارية ولادة تستقبل جارية ابن عبدوس الحاملة هدية لولادة[21]

[19]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 38:50.

[20]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 42:52.

[21]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 2، إنتاج: 2005، التوقيت: 38:51– 39:29.

مشهد في حوار مجلس صالون ولادة ليلا[22]

–ابن زيدون: أحسبها إشاعة مما يختلق بعض العامة، لو كانت حقا لكنت أول من يعرف، بل أكدها لي بعض المشاورين، وقد أقرأه أبا الحزم في كتاب القاضي يطلب أن يدخل قرطبة في موكب هشام لكي يرى الناس خليفتهم وتهدأ خواطرهم. **–أحد الشعراء:** لا يعرض أبا الحزم هذا الأمر على أحد ويحجبه عني، كيف يفعل وأنا سفيره فقد كنت البارحة معه في مجلسه ولم يخبرني. **–ابن زيدون:** الذي أخبرني لا يكذب الخبر وهو من أهل الحل والعقد. **–أحد الشعراء:** وأنا ما أكون إن لم أكن في الصدر من أهل الحل والعقد وقد عرف بلائي في تنصيب ابن جهور. **–ابن زيدون:** لعله أنكر هواك في دعوة هشام ألم تكن أول من أقنعه بالقبول، والآن قد صحت مخاوفه، فهذا ابن عباد يريد أن يدخل بمن يدعيه إلى قرطبة. **–أحد الشعراء:** لو صح ذلك ولا أظنه يصح، فأي بأس ألم نقبل بدعوة هشام؟ ألم نجدد له البيعة؟، فلماذا لا يظهر لأهل قرطبة وقد كانت عاصمة خلافته الأولى وخلافة أباءه؟ **–ابن زيدون:** ما أحسب غاية ابن عباد تخفى عنك، فإذا رأى احتفاء العامة بالمدعي طلب ما هو فوق ذلك أن يقيم هشام المزعوم في قرطبة ويقيم حاجبه ابن عباد، أو بعض ولده ومعهم جنده، فما الذي يتبقى لبني جهور؟ (فجأة تدخل عليهم ولادة) **–الجميع:** ما شاء الله، ما شاء الله. **–أحد الضيوف:** ما هذه الكتابة على ثوبك. **–ولادة:** ألست بقارئ؟ **–أحد الضيوف:**

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي واتيه تيها.

–ضيف آخر: ما جاوزت الحق، والله أنت كذلك. **–شاعر آخر:**

أمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها.

(أشتهيها أشتهيها، فهل اقتضيها)

–ولادة: دونك وإياها قطع الرقاب. **–شاعر آخر:** ولكن عهد الحر دين ولقد لزمك القول. **–ابن زيدون:** أيها المغتر أما علمت أن أعذب الشعر أكذبه، وأن له ظاهرا وباطنا لا يدركه إلا ذووا الألباب والعارفون بصنعة الشعر، أن الشاعر قد يعمم ما يريد تخصيصه، ولا يفهم مقصده إلا من قصد به هذا على مذهب إياك أعني واسمع يا جارة. **–شاعر ثالث:** ما هذه القسوة يا ولادة، تطمعين ولا تصلين؟

–ولادة: إني وإن نظر الأنام لبهجتي كضباء مكة صَيدهُنَ حرامُ

يُحْسبن من لين الكلام فواحِشا ويَصُدن عَن الخنا الإسلام

(تشكر ابن عبدوس على الهدية)

–ولادة: شكرا. **–ابن عبدوس:** بل الشكر على القبول والظهور به .

[22]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:29.

(يخرج الشعراء من بيت ولادة ويبقى ابن زيدون وينشد)

–ابن زيدون: هل لداعيك مجيب أم لشاكيك طبيب؟

يا قريبا حين ينأى حاضرا حين يغيب

إنما أنت نسيـم تتلقـه القلـوب

قد علمنا علم ظن ولا شك مصيـب

أن سر الحسن مما أضمرت تلك القلوب.

–ولادة: ما الذي أرجعك؟ **–ابن زيدون:** بل قولي لي ما الذي يخرجك؟ **–ولادة:** خشية الرقيب وكتمان السر الذي كدت تفضحه قد يعمم الشاعر ما يريد تخصيصه. فلا يعلم مقصده إلا ما قصد به. إياك أعني واسمع يا جارة أهذا عهدي إليك؟ **–ابن زيدون:** سبحان الله، تخشين مقالة الناس، فيما بيننا ولا تخشين مقالتهم في ذلك الشعر الذي كتب على ثوبك حتى أطمعت فيك ما لا يصلح لخدمتك. **–ولادة:** تغار؟ **–ابن زيدون:** وكذلك العاشق. **–ولادة:** ألم تذكر أن أعذب الشعر أكذبه. **–ابن زيدون:** ومع ذلك كيف يطيب لي أن أرى عيون الرجال تقتحمك وأنت لي خاصة. **–ولادة:** لست لأحد. **–ابن زيدون:** والذي بيننا؟ **–ولادة:** ها قد قلتها بيننا، فلي منك كالذي لك مني فنحن السوية نفسها. **–ابن زيدون:** ابن عبدوس، لقد لمحتك...**–ولادة:** ابن زيدون يغار من ابن عبدوس، وهل تغار الثريا من الثرى أم تغار الشمس من السراج الذابل؟ **–ابن زيدون:** إنه يتعشقك، هذا لا يخفى. **–ولادة:** كلهم يتعشقون، المهم من أعشقه أنا. **–ابن زيدون:** ألا يكتفي العاشقان أحدهما بالآخر. **–ولادة:** تريدني أن احتجب عن الناس وأغلق ندوتي؟ **–ابن زيدون:** درءا بمقالة الناس. **–ولادة:** ومنذ متى يعبأ ابن زيدون بمقالة الناس. **–ابن زيدون:** إن كنت لا تعبئين بمقالة الناس، فلماذا تعبئين لينكشف لهم هوانا؟ **–ولادة:** قلت لك أول مرة إذا عرفوا ما بيننا يئسوا مني فانفضوا، وأين يذهب حكمي وسلطاني عليهم؟ **–ابن زيدون:** وما حاجتكِ إلى السلطان؟ **–ولادة:** كحاجة ابن زيدون إليه، إلا أنه لا سبيل لي وأنا ابنة الخلائف إلى سلطان الحكم والسياسة، فليكن لي سلطان على أهل السلطان بفتنة العقل والجمال ثم إن احتجابي عنهم ولقائي بك دونهم أدعى إلى مقالة الواشي وعين الرقيب، فأنا على المذهب الذي ذكرت أوري بالتعميم على التخصيص وبزيارة الكثرة عن زورة الواحد. إلا أن تبوح وتفشي كما كنت تفعل الليلة فاكتم فإن الكتمان حجاب الحب وحصنه. **–ابن زيدون:** إنها والله لعزيمة، والذي لك في قلبي كالسيل الجارف، ولو كان الأمر بيدي لوقفت على أعلى منزل في قرطبة وأعلنت هواك. –ولادة: أبك نوم؟ **–ابن زيدون:** وهل تركت لي منه شيء[23].

[23]- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، الحلقة 3، مشهد داخلي، إنتاج: 2003، التوقيت :14:19.

مشاهد من مجلس صالون ولادة ليلا[24]

[24]- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:47- 2:50- 2:53- 3:09- 3:10- 4:23- 4:28- 4:38- 4:57- 5:01- 6:47- 8:26- 10:27- 10:35- 10:42.

Lire (k)
3:12 / 39:23

Lire (k)
4:23 / 39:23

Lire (k)
4:28 / 39:23

Lire (k)
4:38 / 39:23

Lire (k)
4:57 / 39:23

Lire (k)
5:01 / 39:23

Lire (k)
6:47 / 39:23

Lire (k)
8:26 / 39:23

Lire (k)
10:27 / 39:23

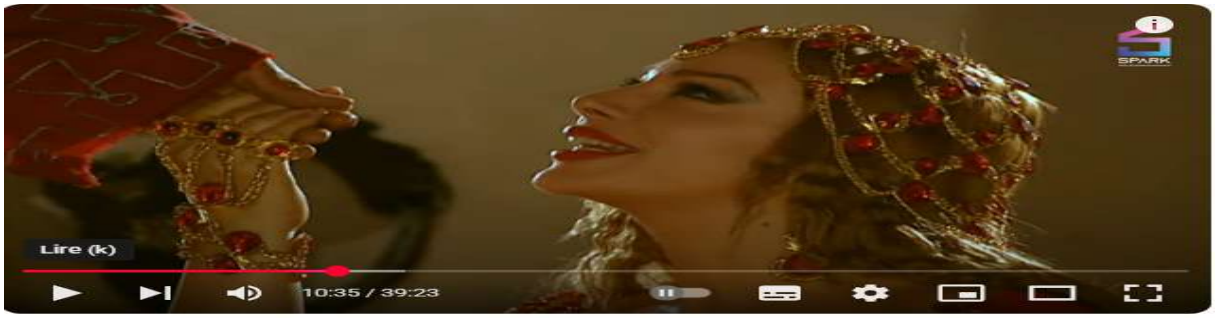

مشهد في حوار: ابن عبدوس يزور ولادة ومعه هدية[25]

–ابن عبدوس: سيدتي. **–ولادة:** هل أهنئكم برجوع هشام عن مدينتكم، أم لا يليق بي ذلك وأنا ابنة بيته أموي؟ **–ابن عبدوس:** لو كان ذلك هشام لكنت أول من يحمل السيف معه، ولا أظن أن السيدة تريد أن يحكمنا الغريب الطارئ صاحب اشبيلية. **–ولادة:** الآن صار الإشبيلي، غريب طارئ في قرطبة. القرطبي غريب طارئ في إشبيلية وكنا في عهود أجدادي أمة واحدة، فهل رضيتم الآن؟ أعلم أنه ليس هشام فقد سمعت أبي المستكفي يحدثني في أمره. قتله بنو عمومته سليمان المستعين حين وثب على الخلافة. **–ابن عبدوس:** ما كان لك هذه الحوادث التي ذهبت بالخلافة، أن تكون لولا ذلك الرجل المنصور بن أبي عامر. **–ولادة:** ما كان المنصور ليبلغ شيئا لولا صُبْح أم هشام. **–ابن عبدوس:** أطاعت قلبها، فبذلت له سلطان ولدها ثم كان الذي كان. **–ولادة:** لا والله، فقد رويت في أخبارها وأخبار ذلك العهد، وسمعت من شهود فما زادني ذلك إلا إعجابا بها فأي امرأة. **–ابن عبدوس:** تعجبنا بها وهي التي مكنت للمنصور الذي حاز ملك أجدادك، وقوض دولتهم. **–ولادة:** الإعجاب غير المحبة يا ابن عبدوس. وما مكنت للمنصور إلا لتمكن لنفسها ولولدها الغلام الذي لم يبلغ الحُلُم. فلما تنكر لها المنصور بعد تمكنه لم تأل جهدا في خصومته، وما تفعل وليس للمرأة موضع في دنياكم. **–ابن عبدوس:** بل لها إن شاءت، مفاتيح العقل والقلب والروح، وأن يبذل لها ما يبذل المالك لمالكه. **–ولادة:** ما زيارتك لنا الساعة؟ (يحضر ابن عبدوس صندوقا) **–ابن عبدوس:** سيدتي، انت ابنة الخلائف، وقد درجت في النعيم حتى نهب إرث آبائك، وقد جعلت منزلك منتدى لأكابر القوم، وفي ذلك زيارة في النفقة، وإني ناشدتك الله، أن تقبلي مني أن أواسيك بمالي ما عشت أبدا وهو فضل منك عليَّ وتكرم. **–ولادة:** أليست زوجك وولدك أحق به مني؟ **–ابن عبدوس:** بل أنت أحق الناس عندي بأن أهبك حبة عيني. **–ولادة:** ما الذي ترجوه مني يا أبا عامر؟ لا يليق بهذا الكرم إلا الصدق، ليس عندي ما أمنيك به يا أبا عامر. **–ابن عبدوس:** أعلم، فو الله ما جئتك وفي نفسِي أملٌ مني. وما زلت عند قولي لا شرط على العشق. فما هو بالأمر الذي نختار بل هو الذي يختارنا، وهو ابتلاء لا نرجو منه خلاصا، وداء لا نرجو منه شفاءا، وأعلم أني لست ابن زيدون، فليس لي وسامته ولا شبابه ولا بديهته ولا بلاغة شعره ولا فصاحة لسانه، وأنا وإياه على النقيض، وهو النار وأنا الماء، هو اندفاع

[25]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت: 20:28.

العاصفة وأنا سكون الليل، هو يطلب أن يصيب في ساعة ما أعمل على تحصيله العمر كلّه، ولكن ما أريد قوله، لا أريد منك شيئا إلا أن تأذني لي بأن أقيم على حبك ما جرى النهر بالماء، وأن أكون الفيء الذي تثوبين إليه غذا إن اشتد هجير الشمس. الملاذ الآمن المأمون إذا اشتد العاصفة، ولسوف تبدي لك الأيام طول صبري ودوام وفائي. **–ولادة:** قد والله قد حبرت هذا الكلام بليل ثم حفظته، فما هو ارتجال من وحي الساعة. **–ابن عبدوس:** أقررت لك ليس لي فصاحة ابن زيدون. ولكن علم الله أني نطقت عن قلبي[26].

مشاهد ابن عبدوس يزور ولادة ومعه هدية[27]

[26]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 3، إنتاج 2005، التوقيت :30:00.

[27]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت: 20:43– 21:05– 21:18– 21:29– 22:04– 23:39.

مشهد في حوار: مخبر يخبر ابن زيدون بخبر خروج ابن عبدوس من عند ولادة ليلا[28]

–ابن زيدون: وكم مكث عندها؟ **–الخادم:** ساعة أو بعض ساعة[29].

مشاهد المخبر يخبر ابن زيدون بخبر زيارة ابن عبدوس ولادة ليلا[30]

[28]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت: 26:35.

[29]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 3، إنتاج 2005، التوقيت :30:36

[30]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت: 26:27– 26:36.

مشهد في حوار ابن زيدون يقبل على بيت ولادة ليلا، فتطربهم جارية مطربة[31]

–ولادة: ما الذي أخرك عني؟ هل تريد أن تزيد ضرام شوقي إليك؟ إن كان هذا مردك فقد بلغته (أقبل، أقبل، (تجلسه وتسقيه خمرة)، لك عندي الليلة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب عاشق.

هل حاذرت أن يراك أحد تدخل علينا؟ **–ابن زيدون:** بقدر ما حاذر ابن عبدوس. **–ولادة:** وكيف علمت أنه قد زارنا؟ **–ابن زيدون:** وما زيارته لك وحده؟ **–ولادة:** لم تجبني، كيف علمت؟ **–ابن زيدون:** أنا السائل، ما زيارته لك؟ **–ولادة:** كأنك ترسل من يتجسس علي؟ **–ابن زيدون:** لم يحاول ابن عبدوس إخفاء زيارته.

–ولادة: قد قلتها، إنما يتخفى المريب. **–ابن زيدون:** أنا أتخفى على شرطك، فهل أكون مريبا؟ **–ولادة:** لا شك، أنت المريب دون غيرك، وهذا ما أصفك به. إنما تحلق الريبة بمن هو أهل لها. فأنت العاشق والمعشوق، وأنت الشباب والجمال والشعر، أنت النار والعاصفة، وأنا شبيهك ونوعك، فكيف لا تقع الريبة في لقاءنا حقا أم باطلا، أما ابن عبدوس فمثله مأمون لا تتهم به امرأة، فكيف بامرأة مثلي؟ اجلس، اجلس، (تناوله كأس الخمر) لا تغلبك الغيرة فهي صفة الضعف. **–ابن زيدون:** ويقال أيضا، هي من لوازم العشق. ألا تغارين عليّ. **–ولادة:** وأين امرأة مثلي أغار عليك منها؟ دعنا من كل هذا (تصفق فتحضر جارية مطربة) اسمعينا. (تبدأ المطربة في طربها). **–ابن زيدون:** الله، الله، أين كنت تخفين هذه الدرة الفريدة زيدي، (يتقدم عندها ابن زيدون) زيدي، زيدي. **–المطربة:** تتعب حنجرتي يا سيدي. **–ابن زيدون:** خذي من يدي ما يرطب حلقك، وأعطني من صوتك ما يزيد نشوتي. **–ولادة:** ألا نريحها؟ **–ابن زيدون:** وأين راحتي أنا، والله والله لو سمعها الملوك لأرخصوا ملكهم فيها، هات، هات صوتا واحدا على الأقل.

(تواصل المطربة الغناء واحتساء الخمرة من يد ابن زيدون، تتدخل ولادة لإخراجها، يمنعها ابن زيدون)

–ولادة: كفى هذا الآن منها، ولتخرج إلى حجرتها. **–ابن زيدون:** لا لا اكملي. (تتقدم ولادة عند المطربة الواصفة وتصفعها).–ولادة: أيتها الفاسقة أقول لك اخرجي إلى حجرتك فلا تنصاعين؟ (تخرج بسرعة)

–ابن زيدون: لما فعلت هذا، أنا أمرتها. **–ولادة:** انا هنا صاحبة الأمر، ولا يسعها إلا أن تطيع أحدا غيري.

–ابن زيدون: لا والله أدركتك الغيرة أخيرا. **–ولادة:** من وصيفتي! **–ابن زيدون:** لما تضربينها إذن، ولم تقترف ذنبا إلا أنها متعت سمعي؟ –ولادة: مما شهدت، فقد متعت سمعك وبصرك. **–ابن زيدون:** وما على القمر أن تجاوره الكواكب فيزدهي بها بقدر ما يزدهي عليها، والجمال يعارض بالجمال، فيقال هذا جميل إلا أن هذا أجمل منه، وأما أن يقال هذا قبيح، وعادي وهذا أجمل منه فكأن يقال هذا ابن عبدوس، وهذا ابن زيدون خير منه وهذا لعمري أقذع لهجاء لابن زيدون (قهقهات). **–ولادة:** لم يبق لنا منك الليلة فضل خير.

–ابن زيدون: جربني. **–ولادة:** عد إلى دارك قبل أن تزيد إساءتك. **–ابن زيدون:**

[31]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:29.

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك

–ولادة: انتظر لإن بحت بالسر شرقت به اذكر هذا.

–ابن زيدون:

يا أخ البدر سناء وسنـاً حفظ الله زمانا أطلــعك

(يستند على جدار وهو سكران)[32].

مشاهد قدوم ابن زيدون على بيت ولادة ليلا عاقلا، وطرده من دارها سكرانا[33]

[32]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت :39:46.

[33]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:29– 27:41– 27:50– 28:09– 29:53– 29:57– 30:01– 30:15– 30:42– 30:50– 31:46– 32:06– 33:04– 35:45.

Lire (k)
28:09 / 39:23

Lire (k)
29:53 / 39:23

Lire (k)
29:57 / 39:23

Lire (k)
30:01 / 39:23

Lire (k)
30:15 / 39:23

Lire (k)
30:42 / 39:23

Lire (k)
30:50 / 39:23

Lire (k)
31:46 / 39:23

مشهد في حوار: في صالون ولادة مع مجموعة من الشعراء[34]

–ولادة: والآن ما تقولون أي الغزل أحسن غزل المحروم، الذي لا أمل له أم غزل الموصول الذي وصل حاجته؟ **–أحد الشعراء:** بل غزل المحروم، فلا يكف ولا هو يشتفي. **–ابن زيدون:** فما كان شأن المجنون مع ليلى لو صارت إليه يا لشقاء ليلى؟ **–شاعرٍ آخر:** ترى لو صارت إليه، هل كان يجود بغزل نحفظه ونردده؟ **–ابن زيدون:** ذلك اختبار الشاعر العاشق واختبار المعشوق، فإذا انحبس عنه شعر الغزل بعد الوصال فهو إما لضعف في موهبته أو ضعف في عشقه، أو لأنه وجد صاحبته مع القرب دون ما صورها له خياله مع البعد.**– أحد الضيوف:** فأنت إذن على مذهب ابن أبي ربيعة. **–ابن زيدون:** لست على مذهب العاشق المحروم الذي يرضى بالأثر دون التمر، ويقنع بالفتات مما تركت موائد غيره، ويقتات ما تخلف من عشب المراعي، ولا أنا على مذهب الماجن الخليع الذي يطلب قضاء وَطَرِه، والذي يتنقل بين الزهور؛ فالأول مَمْلول، والثاني مَلُول، إنما أنا على مذهب نفسي. **–أحد الشعراء:** وما ذاك؟ **–ابن زيدون:** غزل الموصول الذي لا ينقضي حوائجه، ولا تنفذ رغائبه كلما أصاب ازدادت رغبته وأشد إقباله، وهذا لا يكون إلا مع صاحبة لا تنقضي محاسنها، ولا تفرغ عجائبها، ولا تنضب مواردها، ولا تنفذ أسرارها، فهي كل يوم خلق جديد. **–شاعر آخر:** الله، الله لوددت، لو كنت امرأة، فأوصف بمثل هذه الأوصاف. **الشاعر الأول:** أنت

[34]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 3، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:29– 27:41– 27:50– 28:09– 29:53– 29:57– 30:01– 30:15– 30:42– 30:50– 31:46– 32:06– 33:04– 35:45.

يا سيدتي استفتحت بالسؤال، والآن أنت المسؤول فما الرأي عندك أي الغزل أحسن؟ **–ولادة:** ما كان بي وإن قصر بجودته فصورتي تزينه. **– نفس الشاعر:** أعني مذهبك في العشق والعشاق وشعراء الغزل. **–ولادة:** كالحياة؛ أنواع وألوان وأجناس ولو كان الشعراء على مذهب واحد، لما تميز أحدهم، ولو كان شعر الواحد منهم يغني عن الجملة. وكذلك العشاق ليسوا مثالا واحدا. **–نفس الشاعر:** صحيح. **–ولادة:** إلا أن ما تطلبه امرأة من صاحبها قد لا يوافق ما تطلبه الأخرى. فمناط الأمر الصدق والتوافق. **–شاعر آخر:** وما الذي تطلبه ولادة. –ولادة: جلّ أن يوصف. **–الجميع:** اجتهدي. **–ولادة:** اطلب جسارة لا تلتبس مع التهور، واعتدادا بالنفس لا يلتبس مع الغرور ورقة لا تلتبس مع الضعف وصبرا لا يلتبس مع العجز، رجلا أمكنه من نفسي بقدر ما يمكنني من نفسه، لا يرى نفسه فوقي ولا دوني، فلا هو يسمو علي ولا هو يسمو إلي. **–شاعر آخر:** لقد أيأست محبيك يا ولادة؟ **–الشاعر الأول:** لأن أيأست محبيها فقد أيأست نفسها منهم، فإن هذه الأوصاف لا تجتمع برجل واحد إلا بقدر ما تجتمع أوصاف ابن زيدون بامرأة واحدة، وأنّا ذلك[35]. **–ولادة:** كفيت ووفيت يا ابا عامر وكيف أشكرك، وما زلت تهدي إلي ما يزيد على حاجتي، ولكني ما زلت على حالي منك، لا أمني بغير الصحبة والود والتقدير. **–ابن عبدوس:** وأنا على حالي، أحلم بالكثير وأرضى بالقليل وأقنع بما قسم لي القدر منك[36]. **– الشاعر صاحب ابن زيدون:** لا يمل غريمك ابن عبدوس من المحاولة. **–ابن زيدون:** لا يبلغ أن يكون غريمي. **–الشاعر صاحب ابن زيدون:** هذا رأيك فيه، فما رأي ولادة[37]؟

مشاهد لضيوف ولادة من داخل وخارج صالونها الشعري[38]

[35]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 19:44.

[36]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي ، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 20:24 .

[37]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي ، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 4 ، إنتاج: 2005، التوقيت: 20:36.

[38]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية وخارجية، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 12:18– 13:03– 13:09– 13:16– 14:32– 16:15– 16:48.

Lire (k)
13:09 / 39:10

Lire (k)
13:16 / 39:10

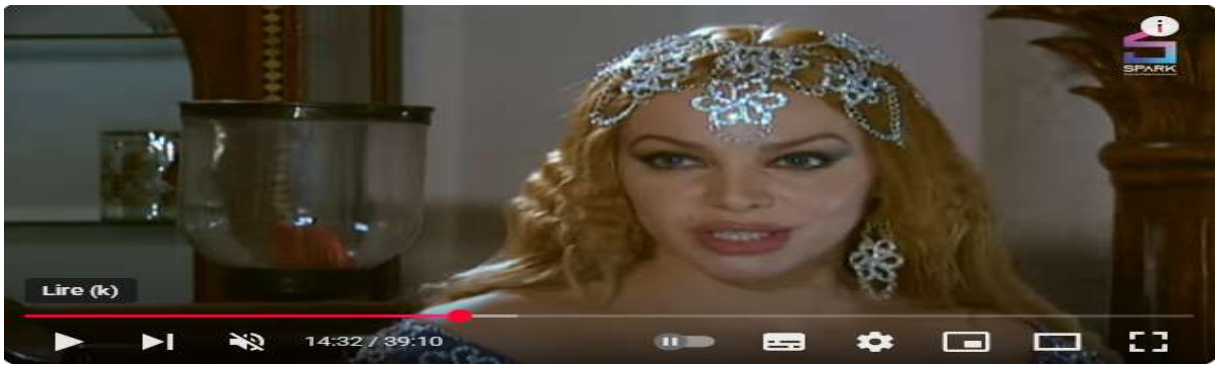
Lire (k)
14:32 / 39:10

Lire (k)
16:15 / 39:10

مشهد في حوار: ابن زيدون في ضيافة ابن عبدوس[39]

–ابن عبدوس: أبا الوليد، ما سر هذه الزيارة التي لم نتوقعها؟ فعهدنا بالتزاور بعيد! **–ابن زيدون:** ألا يزور الصاحب صاحبه؟ **–ابن عبدوس:** أصحاب ! ما علمت أنك تحفظ لي ودا، ولا أزعم أنني أحفظه لك. **–ابن زيدون:** ولماذا اه، ولادة، تحسب أني أغار منك عليها وأننا نتنافس، ما ظننت أن يبلغ بك الوهم والاغترار هذا المبلغ ! أيغار الليث من الجرذ إذا أخذ من فضل طعامه بعد شبعه؟

أكل شهي أصابنا من أطايبه بعضا وبعضا صفحنا عنه للفاري

–ابن عبدوس: أهذا ظنك بمن تزعم أنك تهواها. طعام تأكله ثم تترك منه فضلة يتقوت منها غيرك. إذن فإني لا أخشى عليها من العدو. بل من المحب إذا كان هذا معنى الحب. **–ابن زيدون:** تخشى عليها، ومن أنت حتى تحيطها بنظرك ورعايتك، يا غافل هذه ولادة، ولادة بنت المستكفي وأنت وإن كنت وزيرا فإنك رجل مغمور النسب خامل الذكر، يا رجل لا أنت في حرب ولا في سياسة؟ لا في علم ولا في أدب؟ وإن وزارتك لأعظم دليل على فساد الزمان وانحطاط الأحوال وسوء التقدير والنظر والتدبير ورفع الصغير، والحط من الكبير والجهل بالرجال، ولهذا تقطعنا طوائف وأحزاب. **–ابن عبدوس:** ألا يحسن بك يا أبا الوليد أن تلجم لسانك، ولا يفيض بما يدينك عند من اختارني للوزارة. **–ابن زيدون:** أنا لا أخشى إلا الله. أما أنت فلا تطرق باب ولادة أبدا ليس لك شأن في تلك الدار. **–ابن عبدوس:** ألا يجدر أن يكون ذلك منها. –ابن زيدون: ها أنا حذرت وأنذرت [40].

مشاهد زيارة ابن زيدون ابن عبدوس[41]

[39]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 18:07.

[40]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج :2005، التوقيت: 24:24.

[41]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 18:19– 20:28.

مشهد في حوار مرسولة ابن عبدوس (مرتادة) عند ولادة[42].

–المرسولة: أرسلني سيدي الوزير كي استطلع أحوالك وهو يناشدك الله أن تأمري فتطاعي، فلا والله لن يسره شيئا إلا أن يبذل من نفسه لك. **–ولادة:** أو لم يفعل الأسبوع المنصرم؟ **–المرسولة:** لو أذن له لأقام على خدمتك في كل يوم فهي لذته ونعيمه. ولو وزع حبه لك على أهل الأرض لوسعهم. وأنت يا سيدتي لا تدنين له من طرفك وتبخلين عليه بالقليل، أفلا تسرين خاطره ولو بالكلمة. **–ولادة:** ولكن قلبي منصرف عنه. **–المرسولة:** ولكنك لن تجد رجلا صرف قلبه وعقله وروحه مثل أبي عامر، ولو أنك تقربينه قليلا لرأيت ما تطلبه امرأة مزيدا عليه، ولا أطلب لسيدي غير حظ الاختبار (يرمقها خادم ابن زيدون من الباب) [43].

مشاهد مرسولة ابن عبدوس عند ولادة [44].

[42]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:02.

[43]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4 ، إنتاج: 2005 ، التوقيت:31:36.

[44]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:03– 27:55.

مشهد في حوار: ابن عبدوس مع المرسولة مرتادة في ساحة المنزل[45]

–ابن عبدوس: وكيف ردت؟ **–مرتادة:** لم تقل شيئا ولكنها صمتت وذهبت في التفكير، وهذا لعمر الله رد حسن وأمارة خير، فلقد كانت قبل الآن تجيب بالنفي الذي يقطع الأمر. **–ابن عبدوس:** لأن صح قولك لأملأن حِجْرَكِ ذهبا. **–مرتاذة:** إذن أوسع ثوبي. (قهقهات)[46].

مشهد ابن عبدوس مع المرسولة في ساحة المنزل[47]

مشهد في حوار غلام ابن زيدون يعطي رسالة ذم لابن عبدوس ومعه مرتادة على لسان ولادة [48]

–غلام ابن زيدون: سيدي هذا من السيدة ولادة. **–ابن عبدوس:** ألست غلام ابن زيدون؟ **–الغلام:** ما كان لابن زيدون فهو لولادة أيضا (ينصرف) **–مرتادة:** ما أسرع ما صح قولي، ما أحسب هذا إلا كتاب القبول والرضى. **–ابن عبدوس:** كل هذا ما كتبته وقد كنت عندها، وما شأن غلام ابن زيدون؟ **–مرتادة:** ألا تقرأ؟ **–ابن عبدوس:** (يقرأ كتاب ولادة الذي كتبه ابن زيدون)، "أما بعد أيها المصاب بعقله الورط بجهله البين سقطه، الفاحش غلطه، الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفراش على الشهاب، فإن العُجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب. أنك راسلتني مرسلا خليلتك مرتادة، مستعملا عشيقتك قوادة. **–أحد رجال العامة:** وإنك لهجين القذال أرعن السبال طويل العنق والعلاوة، مفرط الحمق والغباوة، بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة، ظاهر الوسواس، ممط الأنفاس. **–إحدى نساء الخاصة:** فوجدوك عدم، والاغتباط بك ندم، والخيبة منك ظفر والجنة معك سقر، كيف رأيت لؤمك لكرامي كفاءة، وضيعتك لشرفي وفاء، وهل علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان، والخبيث والطيب لا يستويان. **–ابن زيدون:** ذلك بما قدمت يداك لتذوق وبال أمرك وترى ميزان قَدْرك، فمن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى. **–أحد رجال الخاصة:** قد أفحصت بالرجل وهتكت عرضه، ولو كنت مكانه، لهجرت الأندلس كلها.(قهقهات) **–ابن صاحب قرطبة جهور: ما رأي ولادة وقد الرسالة على لسانها؟** (لسان كتبها ابن زيدون على لسان ولادة). **–مرتادة:** لا بأس عليك يا سيدي **–ابن عبدوس:** اتركيني الآن[49].

[45]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:56.

[46]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4 ، إنتاج :2005، التوقيت: 32:06.

[47]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:56.

[48]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:57.

[49]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج 2005، التوقيت: 41:49.

مشاهد غلام ابن زيدون يعطي رسالة ذم لابن عبدوس ومعه مرتادة على لسان ولادة، والمتهكمون والساخرون الذين قرأوا الرسالة[50]

[50]- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية وخارجية، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 28:27- 28:32- 28: 35- 29:08- 29:28- 29:47- 30:05- 30:45- 30:49- 30:56- 31:16.

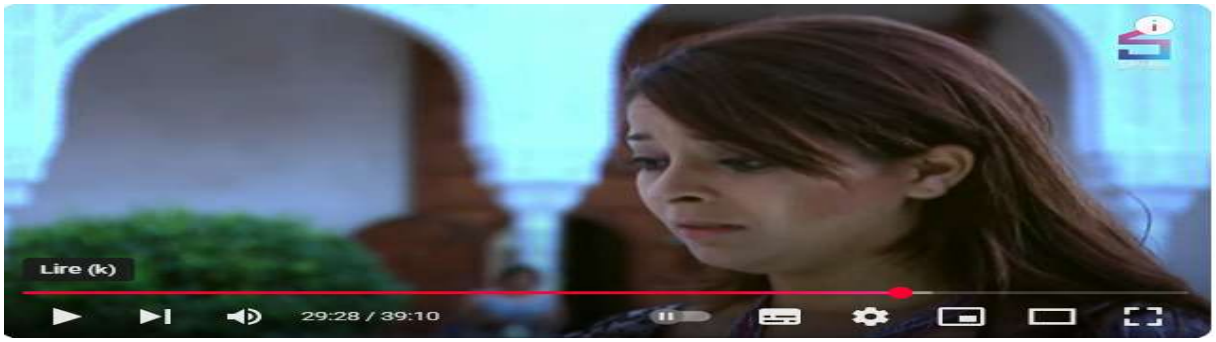
Lire (k)
29:28 / 39:10

Lire (k)
29:47 / 39:10

Lire (k)
30:05 / 39:10

Lire (k)
30:45 / 39:10

مشهد في حوار: ابن زيدون في منزل ولادة [51]

–ابن زيدون: أنا أتعجل إليك تعجل الملهوف، وأنت تطيلين المكوث عني. **–ولادة:** كيف سولت لك نفسك؟

–ابن زيدون: ولكن يجب أن تقري أنها آية في البلاغة. والأحرى لابن عبدوس أن يشكرني أني خلدت اسمه إلى الأبد. **–ولادة:** هذا هو، اعتدادك بنفسك بل غرورك الذي جاوز كل حد. وتضعها على لساني. **–ابن زيدون:** كان أحرى بك أن تَصُدِيه بنفسك، إذن لكفيتني، ولكنك رضيت أن يزورك بين الحين والحين، وأن يواسيك بماله وهداياه حتى تهامس القوم؛ ابن عبدوس ينازع ابن زيدون هوى ولادة. وأي إساءة أعظم أنا أجعل مع ذلك الأحمق على صعي، ومتى كان ندا لي؟ **–ولادة:** لذلك قلت:

أكرا بولادة ذخرا بمذخـر لفرقت بين بيطار وعطـار

قالوا أبو عامر أضحى يلـم بها قلت الفراشة قد تدنو من النار

عيّرتمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحب وما في ذلك من عـار

[51]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 32:16.

أكرم شهمي أصبنا من أطابيه وبعضا صفحنا عنه للفـــار.

–ولادة: هل زدت على أن جعلتني باغيا تستأثر لنفسك بأطايبها ثم تترك لغيرك فتاتها، لا والله يا ابن زيدون ، بخلاف ما كنت تدعيه من حب الأنداد والأكفاء، المرأة والرجل وأن كليهما يأخذ إذ يعطي، ولست عندك إلا فتوحا آخر تتباهى به وفوزا جديدا يضاف إلى جملة انتصاراتك في الحرب والحب سواء. ألم تكن زعيم العصبة التي أسقطت ملك قومي، والآن تريد أن تستوفي باستملاك ابنة الخلفاء، كأنك تستملك ضيعة تحرثها، ولكن هيهات، هيهات، يا ابن زيدون، سترى أن احتياز ملك أهون عليك وعلى غيرك من احتياز امرأة مثلي لم تعد تملك إلا نفسها. **–ابن زيدون:** أنت الآن غاضبة. –ولادة: أزل يدك عني، أتدري أيضا أنك لضعيف وإن أظهرت القوة، وخائف وإن أبديت الجرأة، وإلا من الذي يحمل صاحب القوة القاهرة واللذة الوافرة؟ من يستأثر بالمضجع والمخدع؟ ما الذي يحمله على كل هذا الجهد وذلك الشعر وتلك الرسالة المطولة لإسقاط غريم لا يزيد على أن يكون فأراكما تزعم؟ أليس هذا أعظم دليل على أنك تخشى فوزه عليك، بقدر ما تخشى ميلي إليه عنك، لو كنت واثقا بنفسك لما فعلت. أما هو فيسكن سكون من أبرد قلبه اليقين، أيكما إذن أشد عزما؟ وتنطق عني في مفاضلة بينكما، وما أدراك ما أدراك قديما قيل: " قوال ليس بفعال، يداري ضعفه بضجيجه"، فلست أنا أولى بالمفاضلة بينكما وعندي اختباركما؟ (يصفع ابن زيدون ولادة). **–ابن زيدون:** قطع الله يدي، قطع الله يدي، سامحني بحق الله. **–ولادة:** تصفع ابنة الخلفاء، تصفع ابنة الخلفاء. أيها الشقي، اخرج من بيتي، اخرج من بيتي، لا أراك بعدها أبدا. **–ابن زيدون:** ناشدتك الله، إنما أزلني الشيطان وفارقت عقلي، انتصفي مني اقطعي أوداجي إن شئت، ولكن اصفحي عني، نعم أعترف فقد أضعفني حبك وغيرتي عليك (يركع ابن زيدون لولادة على ركبتيه)، فصرت أضرب على غير هدى، فقد صار حالي في العشق حال المجنون، وكنت قبل اليوم أهزأ به. **–ولادة:** أبشر، إذن فقد مضى جنون الوصل والآن جنون الهجر، ألا من أحد يشهد ابن زيدون على ركبتيه، تعجل الخروج فإن لي حاجة في هذا المجلس، إذا خرج الوزير فهيئوا المجلس بالورد والفاكهة والشراب والعود أيضا، وطيبوا المجلس بالمسك والعنبر (قهقهات) [52].

مشاهد شجار ابن زيدون مع ولادة [53]

[52]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 41:49.

[53]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 32:50– 32:59– 35:02– 36:24– 36:47– 36:57– 37:02– 37:24.

Lire (k)
32:59 / 39:10

Lire (k)
35:02 / 39:10

Lire (k)
36:24 / 39:10

Lire (k)
36:46 / 39:10

Lire (k)
36:57 / 39:10

مشهد في حوار: ابن زيدون يزور بيت ولادة ليلا[54]

–خادمة ولادة: ناشدتك الله يا سيدي، ارجع. **–ابن زيدون:** لن أرجع قبل أن أراها. **–خادمة ولادة:** ولكنك تعلم أنها لا تريد أن تراك. **–ابن زيدون:** أخبريها، أخبريها، أنت، لن أبقى طويلا. **–خادمة ولادة:** ستقرعني علي هذا، ولكن سأعلمها بوجودك على كل حال[55].

مشهد ابن زيدون يطرق باب ولادة ليلا[56]

[54]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 1:36.

[55]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 1:56.

[56]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 4، إنتاج: 2005، التوقيت: 1:43– 1:51.

مشهد في حوار: الخادمة مع ولادة في غرفتها[57]

–ولادة: يا لخناء، كيف أذنت له بالدخول ألم تعلميه؟ **–خادمة ولادة:** بلى، بلى، ألح إلحاح الملهوف وما رأيته على هذه الحال قط، وقد كان قبل اليوم يزهو زهو الطاووس[58].

مشهد الخادمة تخبر ولادة بقدوم ابن زيدون[59]

مشهد في حوار: خادمة ولادة تنقل لابن زيدون رسالة سيدتها[60]

–خادمة ولادة: لا تريد أن تراك. (يعود ابن زيدون أدراجه)[61].

مشهد ابن زيدون ترفض ولادة مقابلته[62]

[57]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:06.

[58]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:26.

[59]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:07.

[60]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:28.

[61]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:40.

[62]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:30– 2:57.

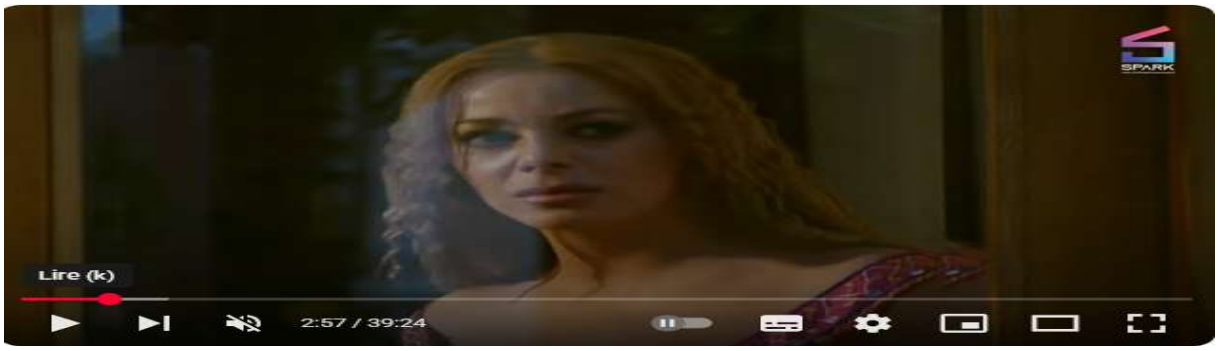

مشهد في حوار: ولادة في غرفتها وخادمتها[63]

–ولادة: أأمري الخادم أن يطوف على زوار مجلسي، فيعلم أني اعتزلت لا أستقبل فيه أحدا. **–الخادمة:** لأجل معلوم أم. **–ولادة:** إلى الأبد. **–الخادمة:** ألا يرق قلبك له. **–ولادة:** بلى، يرق حتى كأنه جناح فراشة. –الخادمة: إذن اتبعي ذلك بالفعل. **–ولادة:** أما هذا فلا هو فراق الأبد. –الخادمة: ألا يثبت لك حبه بعد أن زال عنه اغتراره؟ **–ولادة:** كان يزعم أن شعر الوصل أبلغ وأدل على صدق المحب من شعر الهجر، وها هو قد جاء بأعذب شعره بعد انقطاع الوصل، فهل أحرم الناس من بدائع قريحته؟ (ولادة تبكي)[64].

مشهد ولادة في غرفتها وخادمتها تعتزل الصالون الأدبي[65]

مشهد في حوار: صاحب قرطبة يستدعي ابن زيدون[66]

–صاحب قرطبة ابن حزم: قد أطلت صبري عليك ظنا بك ورعاية لمنزلتك ووفاء لصنائعك في أول دولتنا. **–ابن زيدون:** في أولها ما زلت يا سيدي في عهدي القديم لم أغير... **–صاحب قرطبة:** قد نصحتك غير مرة ولم تسمع نُصحي، وكذبت فيك القائل، وحملت كلامه على حسد الرجال حتى زاد فيك القائلون وتواترت فيك الأقوال. **–ابن زيدون:** أعدك يا سيدي أن تسمع بي الوشاة. **–صاحب قرطبة:** وما شأن تلك الكتب التي تزعم أن أمراء الأندلس ما زالوا يرسلونها إليك؟ **–ابن زيدون:** أنا رجل شاعر يا سيدي، ومن عادة الملوك أن يدعوا الشعراء. **–صاحب قرطبة:** يدعونهم ليمدحوهم، نعم أنت شاعر واسع الصيت، ولكنك وزيري وسفيري والقيم على أهل الذمة في دولة قرطبة، ولماذا كتمت عني إن لم يكن في الأمر ما يريب. **–ابن زيدون:** ما ظننت أنه مما يهم صاحب الأمر. **–صاحب قرطبة:** وما تباهيك في كل حين، بأنك أسقطت دولة ورفعت دولة، وأنك لو أطعت أصحابك لانصرفت، ونسبك في بني مخزوم ومكانهم من قريش، وقرابتهم لبني أمية، والعرب والموالي تغمز فينا يا ابن زيدون. **–ابن زيدون:** ما عذا الله يا سيدي. **–صاحب قرطبة:** وقد حسبنا أن تلك العصبيات قد صارت من الماضي. **–ابن زيدون:** وهي كذلك. **–صاحب قرطبة:** وحين دخل الداخل الجزيرة من رتب له ودبر، ما علمت أن بني مخزوم كانوا في انتظاره. **–ابن زيدون:** كان الموالي وفي مقدمتهم وجدكم يوسف بن بخت. **–صاحب قرطبة:** فما كان ذلك الكلام والتنفخ والادعاء؟ ولما

---

[63]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 6:15.

[64]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 7:30.

[65]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 6:34.

[66]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت:26:35.

تبطل أعمالك عندنا بالمن والأذى؟ **–ابن زيدون:** إذا كان قد بادر مني شيء مما تذكر يا سيدي فقد استزلني الغضب من قوم لم يرعوا ذمامي ولم يرعوا قدري. **–صاحب قرطبة:** اه، الرويبضة، الرجل الصغير في المنصب الكبير، المنصب الكبير الذي حمل أقرانه على مركب الوزارة سوء النظر وضعف التدبير والجهل بمقادير الرجال وهو أمارة فساد الزمان وانهيار الدول وانصراف الأمر إلى غير أهله. أليس هذا قولك؟ وتلك الرسالة الهزلية في وزيرنا ابن عبدوس ألم تفطن أن الطعن في أحد وزرائي هو طعن بي إذ فضله منسوب إلي وكذلك نقائص، لقد أزريت بمنصب الوزير على الجملة، نريحك الآن من أعباء أعمالك يا أبا الوليد حتى تراجع نفسك ونراجع أنفسنا بك[67]. (ينصرف ابن زيدون خائب الظن مذلولا)، (يدخل ابن صاحب قرطبة على أبيه يترجاه في ابن زيدون) **–صاحب قرطبة:** لا تدافع عنه بعد الآن، فلو كان صاحبك حقا لما عرض بدولتنا ذلك التعريض. **–ابنه:** لو تحول ولائه يا أبتي لاستجاب لدعوة صاحب اشبيلية، وهو كما علمنا ما زال يستحثه إليه ويُمَنِيه. **– صاحب قرطبة:** وصاحبك يستعمل ذلك ليذل به علينا ويطلب المزيد ولسان حاله يقول، إن لم تعطوني فغيركم يعطيني، وما زلت لا أشك أنه يداخل أنصار دعوة ابن هشام وخيط دقيق بين الطمع والطموح، وبين الاعتزاز بالنفس والغرور والخيلاء، ولقد حان الوقت لألزماه حده[68].

مشاهد صاحب قرطبة يعفي ابن زيدون من مهام الوزارة وابنه يدافع عنه[69]

[67]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 30:06.

[68]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 31:16.

[69]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت:26:33– 26:52– 28:54– 30:40– 30:47.

مشهد في حوار: ابن زيدون أمام باب قصر ولادة يلقي شعرا ليلا [70]

–ابن زيدون:

أغائبة عني وحاضرة معـــــي أناديك لما عيل صبري فاسمعي

صليني بعد الوصل حتى تبينـــي حقيقة حالي ثم ما شئت فاصنعي [71]

[70]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 33:58.

[71]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 38:07.

مشاهد ابن زيدون أمام باب قصر ولادة يلقي شعرا والتي تطل عليه من الشرفة[72]

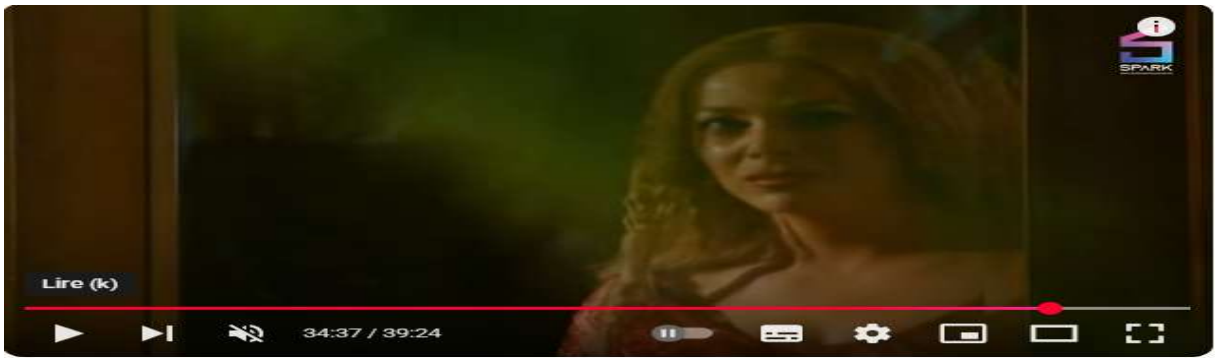

مشهد في حوار: جنود ينزلون عند ابن زيدون في منزله يطلبه القاضي[73]

–ابن زيدون: ما الأمر؟ **–الحارس:** اخرج معنا إلى مجلس القاضي[74] .

[72]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية وخارجية، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 34:13– 34:19– 34:37.

[73]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 34:44.

[74]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 38:35.

مشهد جنود ينزلون عند ابن زيدون في منزله يطلبه القاضي[75]

مشهد في حوار: ابن زيدون وغريمه والشهود والحارس في مجلس القاضي[76]

–ابن زيدون: ما الأمر؟ **–القاضي:** ألا تقدم السلام يا أبا الوليد. **–ابن زيدون:** السلام عليكم. **–الجماعة:** وعليكم السلام. **– القاضي:** اجلس إلى جانب غريمك. **–ابن زيدون:** غريمي بأي دعوة ؟ **–القاضي:** ألا تطيع فتجلس كما أمرتك؟ **–القاضي:** يزعم هذا، أنك اغتصبت عارا لأحد مواليك بعد وفاته. **–ابن زيدون:** هل هذه طرفة. **–القاضي:** أجدر بك أن توقر مجلس القاضي يا أبا الوليد، فما هو بمجلس سمر من تلك المجالس التي يغشاها بعض الناس. **–ابن زيدون:** لعله يعني مولاي عبدون، رحمه الله، ولكن ما شأن هذا المدعي؟. **– القاضي:** هو شقيق زوج المتوفى. **–ابن زيدون:** ما بينته؟ **–القاضي:** هذا الشاهد. **–ابن زيدون:** أليس هذا ابن العطار العشاب، سبحان الله بينة بشاهد واحد، وأي شاهد؟ **–القاضي:** دعك من الشاهد، وأجب عن التهمة. **–ابن زيدون:** كذب صريح لاريب، كيف أغتصب عقار غيري، وأنا رجل ذو مال، لقد اشتريته من المتوفى قبل وفاته بحقه، وزدته فيه. **–القاضي:** هذا قولك، هل عندك غيره، هل كاتبت بينك وبينه. **–ابن زيدون:** كاتبته، ولكنه أمر قديم ولا أذكر أين حفظت العقد. **–القاضي:** هذا جاء ببينة، وقولك ليس بمدفع إذن قضي الأمر. (يأمر القاضي الحرس أن يسجن ابن زيدون). **–ابن زيدون:** تسجنني، هذا هزل، كيف تقطع بالحكم قبل أن تعطيني فرصة الاعذار. لعلي أتيك بمدفع أو أصدع إن لم أجد مدفعا، وأصالح على المال المعلوم والصلح جائز بين المسلمين، أليس هذا ما اتفق عليه فقهاءنا وجرى عليه قضاتنا[77].

مشاهد ابن زيدون وغريمه والشهود والحارس في مجلس القاضي[78]

[75]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5 ، إنتاج: 2005، التوقيت: 34:47.

[76]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 35:00.

[77]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 38:07.

[78]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 5، إنتاج: 2005، التوقيت: 35:05– 35:19– 35:21– 36:24.

مشهد في حوار: ابن زيدون مع الأوغاد في السجن، وحارس السجن[79]

–أحد السجناء: ألا يشاطرنا سيدي الوزير؟ **–سجين آخر:** (يقدم لابن زيدون طعاما) هذا ليس طعامك المألوف يا سيدي، ولكن الجوع لا يُميز سلني أنا فقد خبرته. غُمة زائلة إن شاء الله يا سيدي. (يدخل الحارس الزنزانة ويخاطب ابن زيدون)[80]. **–الحارس:** أنت اخرج معي[81].

[79]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج: 2005، التوقيت: 1:19.

[80]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:00.

[81]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج: 2005، التوقيت: 2:04.

مشاهد ابن زيدون مع الأوغاد في السجن، وحارس السجن[82]

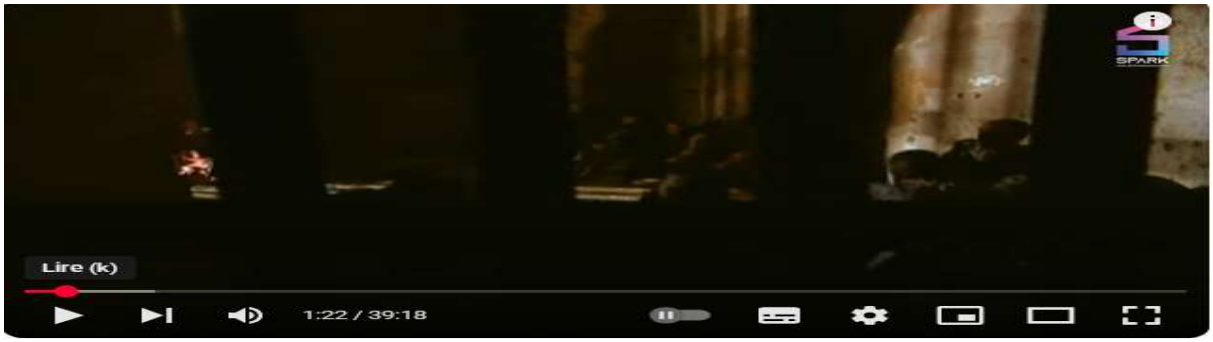

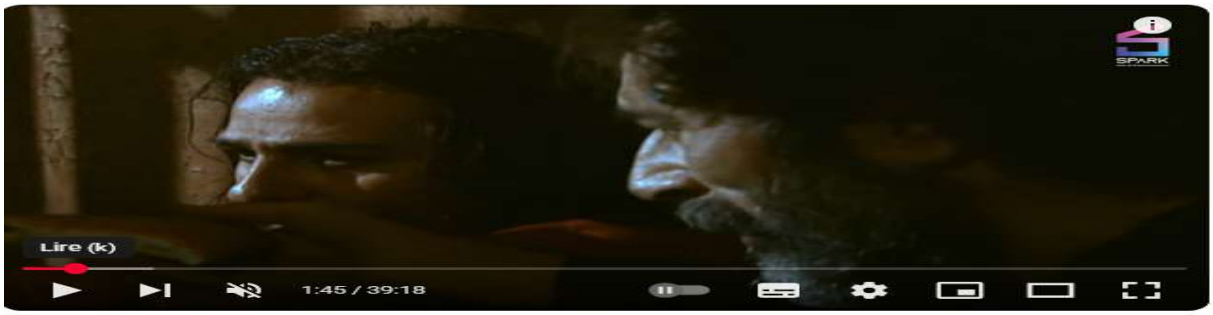

مشهد في حوار: ابن زيدون يلقى في السجن ينشد شعرا [83]

–ابن زيدون يلقي شعرا:

ما عَلى ظَنِّيَ باسُ يَجرَحُ الدَهرُ وَياسو

رُبَّما أَشرَفَ بِالمر ءِ عَلى الآمالِ ياسُ

وَكَذا الدَهرُ إِذا ما عَزَّ ناسٌ ذَلَّ ناسُ[84]

[82]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 6، إنتاج: 2005، التوقيت: 1:22– 1:45– 2:00.

[83]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج 2005، التوقيت: 1:20.

[84]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج 2005، التوقيت: 6:52.

مشاهد ابن زيدون يلقى في السجن شعرا[85]

مشهد في حوار: ابن عبدوس في ضيافة ولادة[86]

–ولادة: ألم يجد صاحبكم أبا الحزم تهمة أخرى يرميه بها. **–ابن عبدوس:** قد جاء المدعي ببينة. **–ولادة:** ذلك الشاهد إنك لتعلم أحسن من هذا يا أبا عامر، فو الله ما نقم عليه أبا الحزم إلا لأسباب السياسة وسعي الوشاة به فأراد أن يعاقبه بذنب آخر يطعن في المروءة فإن له أنصارا في البلدة، هل يكون لك ضلع في كل هذا يا أبا عامر. **–ابن عبدوس:** أنا. **–ولادة:** قد هجاك وقد كان ما كان منه ومنك ومني. **–ابن عبدوس:** ما كنت في حاجة إلى الدس عليه لأنتصف منه، ولو فعلت لما تجاوزت حقي. ولكنه كفى الجميع مؤونة ذلك فلم يُخفِ تبرمه بأبي الحزم، وطعنه فيه، فهو ألذ عدو لنفسه، تا الله مازال في قلبك شيء له بعد أن شَهر بك ذلك التشهير وأنت من أنت. **–ولادة:** المحبة شيء يا أبا عامر، والصفح والصلة شيء آخر، وقد تجتمع المحبة الباقية مع الهجر الباقي، فالأولى تمتلكني ولا خيار، والثانية امتلكها. وأنا لا أزال على شرط معك صحبة باقية، وود مقيم، وليس وراء ذلك ما ترجو. فإن رضيت بهذا كان وإلا فلك رأيك. **–ابن عبدوس:** تعلمين جوابي. سأقيم على حبي لك، وأرضى بصلة الود منك رضايَّ بقدري. تأذنين لي[87].

[85]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 6، إنتاج 2005، التوقيت: 2:20- 2:51.

[86]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج: 2005، التوقيت: 3:20.

[87]. دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج :2005، التوقيت: 9:14.

مشهد ابن عبدوس في ضيافة ولادة[88]

مشهد ولادة مع وصيفتها[89]

–الوصيفة: أعانه الله، لقد اجتمعت عليه محنتان، السجن وهجرك له، وكأن عينا قد أصابته. **–ولادة:** بل أصابتنا معا. **–الوصيفة:** هل تعجز ابنة الخلفاء أن تصنع له شيئا؟ **–ولادة:** لا الماضي يعود، ولا الحاضر يسعف، ماذا عساي أفعل؟ أما وقد أصم أبو الحزم أذنه عن رجائه وشكواه، ولو استطاع إن يفر منه. **–الوصيفة:** لو استطاع الفرار لربما فعل، ولكن كيف يفعل مع أولئك الحراس. **–ولادة:** المال والسلطان فعليهما يقتتل الناس، فيَقتلون ويُقتلون[90].

مشهد في حوار ولادة مع وصيفتها يدبران إخراج ابن زيدون من السجن[91]

مشهد في حوار: يعود ابن زيدون بعد سنين من ابن جهور قاصدا بيت ولادة يطرق بابها[92]

–الوصيفة: (وصيفة ولادة تفتح الباب وتعرفه بعد هذه السنين) سيدي أبو الوليد، تفضل يا سيدي. (يدخل ابن زيدون منزل ولادة)، (يسترجع ذكرياته مع ولادة). **–ولادة:** ابن زيدون هنا. (تنظر في المرآة) (لا أستطيع، لا أستطيع، لا أستطيع) اعتذري منه بأي طريقة. **–الوصيفة:** لما لا تستطيعين أتردين الرجل الوفي بعد هذه السنين. **–ولادة:** بعد هذه السنين، هذا هو بعد هذا العمر الطويل، لم أعد ولادة التي عرفها والتي يتوقع أن يراها، لا يراني على غير الصورة الماثلة في ذهنه. **–الوصيفة:** لإني كبرت، لقد كبر مثلك. **–ولادة:** لا، لسنا سواء، لسنا سواء، بعد هذا العمر ذهب وهم القديم، أجل، فالمرأة هي المرأة والرجل هو الرجل (تبكي لحالها). تعود الوصيفة عند ابن زيدون لتعتذر له من رفض ولادة مقابلته، وبرجع ابن زيدون خائبا. (يخرج ابن زيدون من منزل ولادة، ويأخذ عصاه وينظر إلى النافذة من خلفها ولادة)[93].

---

[88]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج: 2005، التوقيت: 5:04.

[89]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:38.

[90]. دراما ملوك الطوائف، اخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج 2005، التوقيت: 32:07.

[91]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 6، إنتاج: 2005، التوقيت: 27:43.

[92]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد خارجي، الحلقة 15، إنتاج 2005، التوقيت: 17:50.

[93]– دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشهد داخلي، الحلقة 15، إنتاج 2005، التوقيت: 22:26.

مشاهد ابن زيدون بعد سنين من ابن جهور قاصدا بيت ولادة يطرق بابها[94]

[94]- دراما ملوك الطوائف، إخراج: حاتم علي، سيناريو: وليد سيف، مشاهد داخلية، الحلقة 15، إنتاج 2005، التوقيت: 17:54- 18:19- 18:21- 19:46- 20:00- 21:23- 21:33- 22:47- 22:55.

SPARK
Lire (k)
19:46 / 38:01

SPARK
Lire (k)
20:00 / 38:01

SPARK
Lire (k)
21:23 / 38:01

SPARK
Lire (k)
21:33 / 38:01

SPARK
Lire (k)
22:47 / 38:01

SPARK
Lire (k)
22:55 / 38:01

المبحث الثاني: "فراشة العصر الأندلسي" ولادة بنت المستكفي، حلم عاشقين أشعل حرب الوزراء في المصادر والدراسات التاريخية:

ظهرت الظاهرة النسائية بقوة في أوساط الخاصة، وتمتعت المرأة بحرية واسعة ومكانة كبيرة داخل الأسرة، وهي ظاهرة اختلف الدارسون في تفسيرها. فبالنسبة للمغرب الأقصى عزاها البعض[95] إلى البيئة البربرية التي اعتادت فيها المرأة على الحرية والنفوذ، بينما ردها البعض[96] إلى التأثير القبلي القائم على مبدأ المساواة. أما بالنسبة للأندلس فقد أرجعها بعض الباحثين[97] إلى تأثير حضارة الغرب المسيحي، وكذا الحضارات التي امتزجت مع الإسلام في الشرق.

ظل الجمال الظاهري يسيل لعاب الرجال. وكانت **ولادة بنت المستكفي**[98] واحدة من الشاعرات الشهيرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، تبوأت مكانة كبيرة في مجتمعها وزمانها بسبب ثقافتها وجمالها وفتنتها. تفردت بكونها الأميرة الأندلسية الجميلة، والشاعرة العربية الفصيحة الأصيلة التي احتفى بها مؤرخو الأندلس أكثر من أي شخصية نسائية أخرى في عصرها، ولم يعرف المؤرخون تاريخ ولادتها بشكل دقيق، إلا

95- Georges-Marcais, **La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen âge**,Paris : Aubier : Éditions Reinhart Pieter Anne, Histoire de l'Islamisme, Traduite par: Dozy, Montaigne; 1946,P.244-15. Victor Chauvin, Éditeur: Kessinger Publishing, E.J. Brill, Maison Neuve; Paris, 1879, P.362.

96- عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، 430-515 هـ، (بيروت: دار الغرب الإسلامي،1988م)، 136. منى حسن، **الحضارة في مراكش خلال عهدي المرابطين والموحدين**، 290- 292.

97- Pierre **Structures orientales et Occidentales** ***dans l'Espagne musulmane***, Editions Guichard, de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales (Editions de l'EHESS), Paris ,1977, P.167-368.

98- ولادة بنت المستكفي: (ت 484 هـ) هي ولادة بنت الخليفة المرواني المستكفي بالله، من نسل مؤسس الخلافة الأموية عبد الرحمن الناصر. شاعرة أندلسية من بيت الخلافة في قرطبة، وأمها نصرانية رومية، فورثت عنها زرقة عينيها وهبة شعرها، كما ورثت عن والديها المرح والحرية والخروج عن تقاليد المسلمين. وازدادت في تحررها عندما قتل والدها، وما زالت في باكورة شبابها، وقد فتحت قصرها للشعراء والوزراء المعجبين بها، وشاركتهم في مناقشاتهم الأدبية ومقارضاتهم الشعرية. فوقع في هواها الوزيران؛ ابن زيدون وابن عبدوس. فأحبت الأول وكرهت الثاني، لكن الألفة لم تدم؛ فقد وقعت الجفوة بين العاشقين فمالت إلى الثاني، فألف ابن زيدون رسالته التهكمية فيه، وسبب الجفوة أن ولادة أحست بأن ابن زيدون بادل جاريتها السوداء حبا، وولادة أديبة فصيحة، وشاعرة جريئة، تعلن عن رغبتها بصراحة. وشعرها غزل، ومراسلات، وعتاب. ويعدها المقري من أشهر شواعر الأندلس. محمد التويجي، **معجم أعلام النساء**، (بيروت: دار العلم الملايين، ط 1، 2001م)، 184. كانت أديبة شاعرة، واتخذت لها مجلسا أو ندوة بقصرها تخالط فيها الشعراء وتساجلهم وتفوق أحيانا البارعين منهم، وفيها يقول ابن بسام: «كانت في نساء أهل زمانها واحدة أقرانها حضور شاهد، وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتّاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب. وولادة -بذلك- تكون قد سبقت سيدات الصالونات الأدبية في فرنسا اللائي نسمع بهن بعدها بستة قرون أو سبع ممن كن يتخذن- على شاكلتها- ندوات يختلف إليها بعض الشباب والكهول من الأدباء والمتفلسفة لما يمتزن به من رجاحة العقل وخفة الروح والقدرة على إدارة الحديث، والمشاركة فيه مع شئ من الحسن والجمال. ولو أن الأمور والأحوال السياسية استقامت واطردت استقامتها في الأندلس لوجدنا كثيرات مثل ولادة. شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي صر الدول والإمارات بالأندلس**، ج 8، (مصر: دار المعارف، ط 1، 1995- 1960م)، 282- 283. عبد الرحمن الغزي، **ديوان الإسلام**، تحقيق: سيد كسروي حسن، ج 4، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1990م)، 368. شاعرة أديبة من شواعر وأديبات الأندلس كانت جزلة القول حسنة الشعر فكانت تناضل الشعراء، وتساجل الأدباء وتفوق البرعاء، حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة مشهورة بالصيانة والعفاف. فكان مجلسها بقرطبة منتدى الأحرار المصر وفناؤها ملعبا بجياد النظم والنثر يعشو أمل الأدب إلى ضوء غرتها - ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منابها تخلط ذلك بعلو نصاب و كرم أنساب وطهارة أثواب على أنها أوجدت للقول فيها السيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها. إنها بالغرب كعلية بالشرق ألا إن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق وأما الأدب والشعر النادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة في الغناء، وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها، فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك. عمر رضا كحالة، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج 1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2011م)، 287- 288. اشتهرت بأخبارها مع الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس. كان بيتها مثابة للأدباء والشعراء. في شعرها رقة وعذوبة إلا الهجاء منه. توفيت في قرطبة 484هـ. بشير يموت، **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، (بيروت: المكتبة الأهلية، ط 1، 1352هـ- 1934م)،224.

أنهم أكدوا جميعا أنها عاشت لفترة طويلة جدا. وتوفيت وعمرها ما بين الثمانين والخمسة وثمانين عاما، عاشتها في ارتحال روحي حرّ ما بين الشعر والعشق، ولم تكتف بهما، وظلت في حاجة لهما حتى آخر أيام عمرها، رغم حبها وميل قلبها للكثير من كبار رجال الدولة والشعر آنذاك. ولا تستطيع أن نعرف ماهية العشق الذي كان بينها وبين من قيل إنهم أحبوها؛ هل كان عشقا حقيقيا أم كان أفلاطونيا بريئا؟ ومَن يقرأ سيرتها يرجح أنها لم تعشق أحدا. وقد يكون بعض محبيها قد عشقها وكلف بها، ولكن لا ندري هل نال وطره منها أم لا؟

فاقت شهرة **ولادة** وحب كبار رجال الدولة والشعر لها شهرة والدها الخليفة **المستكفي بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله**، ووالدتها الجارية الإسبانية الجميلة (سكرى)، التي أورثتها جمالها الإسباني الأوروبي، فأخذت عنها بشرتها البيضاء الحليبية، وشعرها الأصهب الساحر، وعينيها الزرقاوين كلون البحر، وجرأتها. أوصاف كلها حاول **المخرج حاتم** أن يجدها في الممثلة **سوزان نجم الدين**. وفعلا تفوق، وهنا يظهر لنا جليا نجاح عملية (الكاستينغ). ماتت **ولادة** وحيدة، ولم تتزوج من أي رجل قط، وقيل من المؤرخين إن السبب في ذلك أنها متطلبة كامرأة وكأميرة شديدة الكبرياء والفخر بنسبها وأنوثتها وحبها، فكانت تريد؛ رجلا كامل الصفات، وفيا لا ينظر لغيرها، ولا يرى سواها في الكون كلّه، وفي عصرها لم تجد رجلا كهذا. آثرت البقاء على عرش الشعر والعزة بدون رجل غير مناسب قد يهز ما تملكه من نسب رفيع، ولسان شعري فصيح، ومكانة رفيعة في قرطبة بفضل صالونها الأدبي. إنه أول منتدى ثقافي من نوعه في زمنها الذي كان يؤمّه كبار رجال الدولة من الأعيان والوزراء والشعراء؛ ليناقشوا معها شؤون الأدب بحرية دون قيود، وتحاججهم وتنافسهم في الإبداع وقرض الشعر وجمال إلقائه دون منافسة تذكر، وكانت مجالستها لهم ومناقشتها القوية الحجة معهم؛ الباب الذي فتح قلوبهم إليها قبل عقولهم، ومن بينهم الوزير والشاعر الشهير

أحمد بن عبد الله بن زيدون[99] أكثر العشاق المتهورين المتيمين بها أهمية، ومحبها الوزير الهادئ، والذي لم ييأس قطّ **أبو عامر بن عبدوس**[100]. كما وصفتهم دراما مسلسل ملوك الطوائف.

---

[99]– أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي أبو الوليد (394 – 463 هـ = 1004 – 1071م) أثنى عليه بسام في الذخيرة وابن خاقان في قلائد العقيان وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة برع أدبه وجاد شعره وعلا شأنه وانطلق لسانه. صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج 7، (بيروت: دار إحياء التراث، 2000م)، 56– 57. وزير كاتب شاعر، من أهل قرطبة، انقطع إلى ابن جهور (من ملوك الطوائف المغلوبين بالأندلس) فكان السفير بينه وبين الأندلس، فأعجبوا به. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج1، (بيروت: دار صادر، 1900م)، 43. أبو نصر الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان**، (بولاق: المطبعة الأميرية، 1866م)، 70. وفيه مجموعة حسنة من شعره ونثره. محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، **دائرة المعارف الإسلامية**، ج 1، (الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م)، 186. محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، **جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس**، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966م)، 121. حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، ج 2، (بيروت: المطبعة الوهبية، 1283هـ)، 360 . يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج 5، (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت)، 215. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، **إعتاب الكتاب** ، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور صالح الأشتر، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط 1، 1961م)،207. فخفوا عليه وتمكنوا منه واعتمدوا عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس، فأعجب به القوم وتمنوا ميله إليهم لبراعته وحسن سيرته. صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج 7، 56– 57. ليس لدينا أخبار واضحة عنه في شبابه إلا ما انعقد بينه وبين ولادة بنت الخليفة المستكفي من حب، وقد توفي أبوها سنة 416هـ وما توافى سنة 422هـ حتى تسقط دولة الخلافة الأموية في قرطبة، ويتولى أبو الحزم جهور مقاليد الحكم وجعله حكما شوريا ديمقراطيا من خلال مجلس كان يرجع إليه في سياسته وتدبير شئون حكمه. وأكبر الظن أن ابن زيدون كان ممن انتظموا حوله في حاشيته. شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ج 8، (القاهرة: دار المعارف، ط 1، 1995م)، 282. أن ابن زيدون كان يحيا حياة مضطربة تثير من حوله الشبهات، فهو من جهة قد هام بحب ولآدة ابنة الخليفة الأموي السابق المستكفي، وكانت قد ظهرت في مجتمع قرطبة ببهوها الأدبي، الذي يزينه جمالها وشعرها الرائق، وأحدث هيامه بها وشعره المتيم فيها، حول سيرته الوزارية نوعاً من الفضيحة الغرامية. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس – العصر الثاني دول الطوائف – منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ج 2، (مصر: مكتبة الخانجي، ط 4، 1997م)، 25. واتهمه ابن جهور بالميل الى المُعْتَضِد بن عَبّاد، فحبسه، فاستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة فلم يعطف، فهرب. واتصل بالمعتضد صاحب إشبيلية فولاه وزارته، وفوض إليه أمر مملكته فأقام مبجلا مقربا إلى أن توفي بإشبيلية في أيام المعتمد على الله بن المعتضد. وفي الكتاب من يلقب ابن زيدون ب (بحتريّ المغرب) وهو صاحب (أضحى التنائي بديلا من تدانينا) من القصائد المعروفة. وأما طبقته في النثر فرفيعة أيضا، وهو صاحب (رسالة ابن زيدون – ط) التهكمية، بعث بها عن لسان ولّادة إلى ابن عبدوس وكان يزاحمه على حب ولادة بنت المستكفي. وله رسالة وجهها إلى ابن جهور طبعت مع سية حياته في كوبنهاغن. وطبع في مصر من شروحها (الدر المخزون وإظهار السر المكنون) وله (ديوان شعر – ط) ولعلي عبد العظيم: (ابن زيدون، عصره وحياته وأدبه – ط) وللأستاذ وليم الخازن (ابن زيدون وأثر ولادة في حياته وأدبه – ط) ويرى المستشرق كور (A Cour). أن سبب حبسه اتهامه بمؤامرة لإرجاع الأمويين. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج1، 43. أبو نصر الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان**، 70. أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، المجلد الأول من القسم الأول، (ليبيا– تونس: الدار العربية للكتاب، 1981م)، 289. وفيه مجموعة حسنة من شعره ونثره. محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، **دائرة المعارف الإسلامية**، ج 1، 186. محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، **جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس**، 121. حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، 360 . يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج 5، 215 . ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، **إعتاب الكتاب**،207.

[100]– أبو عامر بن عبدوس كان ينافس ابن زيدون في ود ولادة بنت المستكفي، رجل من سراة قرطبة يدعى أبو عامر بن عبدوس (المعروف بالفار) تزوجته ولادة فيما بعد. مموش سالم، **شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر**، (القاهرة: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م)، 42. خازن عبود، **نساء شاعرات من الجاهلية إلى نهاية ق 20**، (مصر: دار الانفاق العربية، 2000م)،246. كان كلفا بها يطمع أن يظفر بودها، غير أنه كان رجلا جاهلا لا ذكاء له، وكان إلى جانب ذلك مغترا بنفسه يحاول أن يغطي جهله بماله العريض. آنخل جنثالث بلانثيا(Ángel González Palencia) ، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تحقيق: حسين مؤنس، تقديم: حسن العطار، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1995م)، 81 – 82. لم يكن ابن عبدوس في مستوى ابن زيدون أدبا، وظرفا وثقافة

اشتهرت **ولادة بنت المستكفي** بلقب "فراشة الأندلس". امرأة لا مثيل بجمالها وثقافتها وفصاحتها، وحكاياتها الكثيرة والغريبة والمتنوعة مع العشق، طارت شهرتها في عصرها، تداول شعرها المؤرخون حتى وصل إلينا كواحدة من أشهر نساء العرب قاطبة، وكل من اقترب منها وعاصرها وعاشرها حصل على حصة من شهرتها. فمن هي ولادة؟ وكيف كانت حياتها؟ وكيف كانت مجالسها الأدبية؟ وكيف كان صالونها الأدبي؟ ولماذا تهافت عليها الوزراء والشعراء والكتاب؟

ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمن بن محمد. أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر، خالطت الشعراء، ساجلت الأدباء وتفوقت عليهم. سمعت شيخنا **أبا عبد الله بن مكي** يصف نباهتها وفصاحتها، وحرارة بادرتها، وجزالة منطقها وقال لي: لم يكن لها تصاون يطابق شرفها. وذكر لي أنها أتته معزية في أبيه، إذ توفي سنة أربع وسبعين وأربع مائة. وتوفيت بعد سنة ثمانين وأربع مائة، ثم وجدت بعد ذلك أنها توفيت يوم مقتل **الفتح بن محمد بن عباد** يوم الأربعاء لليلتين خلتا من صفر سنة أربع وثمانين وأربع مائة[101].

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء العرب الأمويين المنسوبين إلى **عبد الرحمن بن الحكم** المعروف **بالداخل**، من بني **عبد الملك بن مروان** تسمى **ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن**، ابتذل حجامها بعد نكبة أبيها وقتله؛ وتغلب ملوك الطوائف عليه؛ في خبر يطول شرحه. وصارت تجلس للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم، ويعشقها الكبراء منهم، وكانت ذات خلق جميل، وأدب غض، ونوادر عجيبة، ونظم جيد102.

إنها ابنة جارية نصرانية، ناصعة المحيا، زرقاء العينين، حمراء الشعر، رائعة الحسن[103]. وإن كانت هناك فجوة غابت عن ذهن المخرج **حاتم علي** وهي شكل **ولادة بنت المستكفي** وليس في شخصيتها الآسرة. ولو بقيت الممثلة القديرة **سوزان نجم الدين** كما عرفناها سابقا بلا عمليات تشويه لجمالها الرباني لكانت أقرب إلى **ولادة** الجميلة.

أخذت **ولادة** قسطا وافرا من التعليم قبل وفاة أبيها حيث أحضر لها العلماء والمثقفين، وحدب على تربيتها، لكنها ورثت عنه وعن أمها الشريرة ميلها إلى المرح والتحرر من قيود المجتمع والجرأة على الفساد. وهكذا تحررت من الأصفاد الاجتماعية بعد موت أبيها، فسفرت عن وجهها، وفتحت أبواب قصرها للأدباء والشعراء ورجال الفكر فصار صالونا أدبيا يتهافت عليه الشعراء والكتاب. كانت في نساء أهل زمانها، واحدة أقرانها، حضور شاهد، وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر. وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها إلى سهولة حجابها، وكثرة

وجمالا إلا أنه كان يفوقه دهاء. كتاب، **ديوان ابن زيدون**، تحقيق: يوسف فرحات، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط 2، 1994م)، 15. استطاع بفضل المال أن يصبح من وزراء أبي الحزم بن جهور – المستبد بأمور قرطبة– واجتذب ولادة إلى ناحيته، فثارت حفيظة ابن زيدون وكتب إليه خطابا على لسان ولادة أفرغ فيه تبحره في الأدب وتمكنه من اللغة، فاشتهر أمر هذه الرسالة في قرطبة وتناقلها الناس من ذلك الحين واعتبروها غرة من أروع غرر الآدب العربي. آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تحقيق: حسين مؤنس، 81– 82. وكانت ولادة كثيرة العبث به أول الأمر، فمرت يوما على داره وهو جالس أمام الدار وبقربه بركة متولدة من كثرة الأمطار والأقذار، وحوله جماعة من أصحابه، فلما رآها نشر كميه ونظر فيعطفيه، فقالت له أبا عامر:

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

– شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ج 4، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1997م)، 208. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، **الذخيرة**، تحقيق: محمد حجي، ج 1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1994م)، 432.

[101]– أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، عني بنشره وصححه وراجع أصله: عزت العطار الحسيني، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 2، 1955م)، 657.

[102]– جمال الدين ابن نباتة المصري، **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1964م)، 22.

[103]– محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 2، 425-426.

منتابها؛ تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب. على أنها طرحت التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها104.

كانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة، كتبت بالذهب على طرازها الأيمن:

أنا والله أصلح للمعالـــي وأمشي مشيتي وأتيه تيهـا

وكتبت على الطراز الأيسر:

وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيهـا[105]

ومهما يكن من أمر فقد استطاعت شاعرتنا أن تفتن شعراء عصرها بجمالها وسحرها وذكائها وحلاوة عشرتها، فاجتمع في ندوتها من معاصريها شعراء وأدباء ووزراء من الرجال والنساء. بخصوص النساء لم نرى في الدراما التلفزيونية واحدة في مجلسها سوى الوصيفات والخدم. "كانت تستقبل الجميع ببشاشة ولطف. فيعجب بها الرواد، ويتمنى كل واحد منهم أن تكون له وحده، وقد أشارت إلى ذلك حين قالت:

إني وإن نظر الأنام ليهجني كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام فواحشا ويصدهن عن الخنا الإسلام"106

فردّ عليها أحد روادها بقول بشار:

لا يؤنسك من مخدرة قول تغلظـه، وإن جرحـــا

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بعدما جمعا107

دارت في صالون **ولادة** مناقشات في مسائل الحب وألاعيبه على غرار ما جرى في فرنسا في القرن السابع عشر والثامن عشر، لقد قال **لولادة** أحد رواد الصالون مداعبة:

نظراتك تدمي قلوبنـا ونظراتنا تدمي وجنتيـــك

جرح لجرح، قابلي بينهما أيهما يستحق جزاء جرح البعاد؟

فأجابته: الذي يستحقها في نظري، يا سيدي، هو جرح الوجنتين لأنه لا سبيل إلى إنكاره، أما أنت، فلا تبدي إلا ادعاء فارغة بما تقول، إذ أين الجرح الذي تتكلم عنه؟ أين الشهود[108]؟

104- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج 1، 429- 430.

105- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج 4، 205.

106- **ديوان ابن زيدون ورسائله**، تحقيق: علي عبد العظيم، تقديم ومراجعة: محمد إحسان النص، (الكويت: من منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2004م)، 30.

107- نفسه، 30.

108- Henri pérés, **La Poésie Andalouse En Arabe Classique Au XIe Siècle**, Publication de l'institut d'études orientales, FeniXX réédition numérique (Adrien Maisonneuve), Paris, (01 janvier 1953), P. 428.

حدثنا **الضبي** عن شعرها؛ فقال: أديبة شاعرة جزلة القول، مطبوعة الشعر، وكانت تخالص الشعراء وتجالس الأدباء، وتفوق البرعاء[109]، ونفس القول نجده عن **ابن نباتة**: وكانت تجلس للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم، وكانت ذات نظم جيد[110]. وكان صالونها مجلس أدب يستمع فيه العاشقان لقراءة الشعر وعزف الموسيقى، وغناء القيان، وكانت **ولادة** نفسها لها صنعة الغناء[111]. لكنها لم تغن مطلقا في الدراما التلفزيونية. وإذا كانت **سكينة بنت الحسين** قد سبقت **ولادة** إلى تأسيس المجالس الأدبية، فإن بين المرأتين وجوها عديدة للشبه تتصل بفقدان الأب على نحو مأساوي، رغم التباينات الشاسعة بين شخصيتي **الحسين** و**المستكفي**. وهما إذ تتشابهان أيضا في الجمال وسحر الحضور والتشبث بالحرية، فإن الفوارق بين السلوك المحافظ للأولى والمتجرئ للثانية، لا تتصل بنشأة كل منهما وتربيتها المختلفة فحسب، بل بالفوارق الأوسع بين عصرين متباعدين وبيئتين شديدتي التباين.

ولادة ليست تلك المرأة العفيفة الحصان التي تتصون[112]، وشعرها يمتاز بالفظاظة والخشونة والبذاءة دليل على استهتارها بالقيم، ولعل شعرها أحسن من سلوكها الغريب الأطوار والشاذ. سلوكها الذي حار فيه معاصروها فوصفوها بالتصون والعفاف، ثم نعتوها بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها كما حار فيها المستشرقون فرموها بالجنسية المثلية[113]، واتهموها **بمهجة بنت التياني القرطبية**، ومصدر هؤلاء "المغرب" **لابن سعيد المغربي**، الذي أقر تعلق ولادة **بمهجة** بقوله: كانت من أجمل نساء زمانها وأخفهن روحا، فعلقت بها **ولادة** ولزمت تأديبها[114]، والخبر نجده أيضا عند **المقري**[115] ونفس الاتهام نجد عند المستشرق الاسباني (إمليو غرسيا غومس) (Emilio García Gómez)، حين قال: ولكنها كانت امرأة رجلة بالغة الظرف والأناقة [116]، يقول **ابن خاقان** صاحب طبع متميز ونزوع فني أصيل في كتاب "قلائد العقيان ومحاسن الأعيان" في بيتين شعريين موزونين:

وكانت من الأدب والظـرف وتتميم السمع والطــرف

بحيث تختلس القلوب والألباب وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب[117]

بينما يتحفنا **شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني** عنها بعد ببيت شعري بديع:

إنها بالغرب كعلية بالشرق إلا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق[118]

توفرت **لولادة بنت المستكفي** كل الشروط الملائمة لتصدّر المشهد الثقافي في قرطبة، عبر عقد مجلس أدبي دوري يلتقي فيه كبار الشعراء والكتاب، بمن فيهم **ابن زيدون**، الذي كان له من اتقاد موهبته وقوة حضوره، ما لفت إليه نظر **ولادة** وجعلها تبادله الإعجاب بالإعجاب والعشق بمثله، إلى أن باتت قصة حبهما في صعودها وهبوطها إحدى أكثر قصص الحب شيوعا في التاريخ العربي. "كان الشاعر **ابن زيدون** من رواد هذا الصالون، وعلى رواده، يقرأ شعره. أعجبت **ولادة** بشعره وفصاحته، ووسامته وطموحه، وأعجب هو الآخر بسحرها وخفة

109– أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ج 1، (القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967م)، 547.

110– ابن نباتة المصري جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن حسن بن أبي الحسن، **سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون**، 22.

111– جودت الركابي، **في الأدب الأندلسي**، (القاهرة: دار المعارف، ط 2، 1966م)، 169-170.

112– محمود صبح، **ابن زيدون شاعر قرطبة**، ترجمة: محمود صبح، تقديم: إلياس تيريس، (سوريا: المعرفة وزارة الثقافة، 1978م) ،54.

113– **ديوان ابن زيدون ورسائله**، 38.

114– أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، ج 1، (القاهرة: دار المعارف، ط 3، 1955م)، 143.

115– شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج 4، 293.

116– غارسيا غومس، **الشعر الأندلسي**، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط 2، 1956م)،49.

117– أبو نصر الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان**، 73.

118– شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج 4، 208.

روحها، وظرفها وأدبها، وأنوثتها الصارخة، فانبعث في كل منهما ميل قوي نحو الآخر، تدرج إلى حب عنيف. وقد اتفقا في ميولهما، إذ كانا شابين سريين، جميلين شاعرين[119]، وكلاهما كان مفتونا بالموسيقى والغناء، ميالا إلى معاقرة الشراب وكلاهما من صفوة الطبقة الراقية، وسنهما متقاربة، وكلاهما عزب"[120].

وصف لنا **ابن زيدون** لقاءه الأول **بولادة** فقال: "كنت في أيام الشباب، وغمرة التصابي، هائما بغادة، تدعى **ولادة**، فلما قدر اللقاء وساعد القضاء ..." إلى أن يقول:

وبتنا بليلة نجني أقحوان الشعور ونقطـــف رمان الصدور[121].

وصف **ابن بسام** على لسان **ابن زيدون** أول لقاء له مع **ولادة** في مقطوعة نثرية، فقال **ابن زيدون**: "كنت في أيام الشباب، وغمرة التصاب، هائما بغادة، تدعى **ولادة**، فلما قدر اللقاء، وساعد القضاء، كتبت إلي:

ترقب إذا جن الظلام زيارتـي فإني رأيت الليل أكتم للســر

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر

فلما طوى النهار كافوره، ونشر الليل عنبره، أقبلت بقد كالقضيب، وردف كالكثيب، وقد أطبقت نرجس المقل، على ورد الخجل، فملنا إلى روض مدبج، وظل سجسج، قد قامت رايات أشجاره، وفاضت سلاسل أنهاره، ودر الطل منثور، وجيب الراح مزرور، فلما شببنا نارها، وأدركت فينا ثارها، باح كل منا بحبه، وشكا أليم ما بقلبه، وبتنا بليلة أقحوان الثغور، ونقطف رمان الصدور[122].

يصف **ابن زيدون ولادة** في ديوانه بالجمال الفائق، والسحر الخلاب، وقد بهرت بصره بجمالها الرائع، وصفها في نونيته المشهورة بالرقة المترفة:

فالله صاغها من فضة خالصة وتوج رأسها بشعر أشــقر

ربيب ملوك كأن الله أنشـأه مسكا وقد إنشاء الورى طينا

أو صاغه ورقا محظا وتوجه من ناصع التبر إبداعا وتحسينا

إذا تأوه آذته رفاهيـــة توم العقود وأدمته البُرى لينـا[123]

كانت لقاءات **ولادة** مع **ابن زيدون** كثيرة في أحضان الطبيعة الجميلة حيث: كانت حدائق قرطبة وبساتينها مرتعا لحبهما، وفي خمائلها أخذا يتسابقان كؤوس الهوى ويعبان من شذى النعيم تغمرهما ظلال الحب ودفؤه[124]. وقع في هواها الوزيران **ابن زيدون** و**ابن عبدوس**, فأحبت الأول وكرهت الثاني، لكن الألفة لم تدم؛ فقد وقعت الجفوة بين العاشقين فمالت إلى الثاني، فألف ابن زيدون رسالته التهكمية فيه[125].

قدمت لنا الدراما التلفزيونية **ولادة** بمثابة العاشقة المراوغة، فعلى الرغم من حبها **لابن زيدون** إلا أنها كانت تتعمد إثارة غيرته وهي المحاطة بالمحبين والعاشقين من كل جانب، ومن هؤلاء **ابن عبدوس** الذي كان صديقا مقربا **لابن زيدون**، لكن حبهما للمعشوقة نفسها، جعلهما

---

[119]- فؤاد أفرام البستاني، **ديوان ابن زيدون، الروائع**، شرح وتحقيق: كرم البستاني، (بيروت: دار صادر، 1975م)، 15.

[120]- **ديوان ابن زيدون ورسائله**، 35- 36.

[121]- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج 1، 430.

[122]- نفسه، 430.

[123]- **ديوان ابن زيدون ورسائله**، 144- 145.

[124]- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج 4، 209.

[125]- محمد التونجي، **معجم أعلام النساء**، (بيروت: دار العلم الملايين، ط 1، 2001م)، 184.

يكنان العداء لبعضهما خاصة **ابن زيدون** الذي حاك الكثير من المكائد ليبعد **ولادة** عن غريمه الذي كتب الكثير من القصائد الهجائية في صديقه. فراحت تفتح المجال أكثر أمام الوزير الشاعر **ابن عبدوس** للتقرب إليها، فما كان من الأخير إلا أن يستغل الفرصة ليسرقها من **ابن زيدون** وراح يغدق عليها بالهدايا والعطايا كلما سمحت له الفرصة. جاهر **ابن زيدون ابن عبدوس** عشقه **لولادة**، وهو الذي لا يملك شيئا مما يملكه **ابن زيدون** من الشجاعة والوسامة والفصاحة، واجتماع غيرة **ابن زيدون** على **ولادة** مع غروره جعله يفرط في ذمّ منافسه حتى وصفه بالفأر.

وقعت جفوة بين **ولادة** و**ابن زيدون**؛ أحست فيها بأن **ابن زيدون** بادل جاريتها السوداء حبا، والتي قدمت في الدراما التلفزيونية ببشرة بيضاء. "وكان لها جارية سوداء اسمها **عتبة**، جميلة الصوت، غنت ذات ليلة البيتين التاليين بحضور **ابن زيدون**:

أحبتنا إني بلغت مؤملـي وساعدني دهري وواصلني حبي

وجاء يهنيني البشير بوصله فأعطيته نفسي وزدت له قلبـي[126]

سألها العادة بغير أمر **ولادة**، فخبا منها برق التبسم، وبدا عارض التجهم، وعاتبت **عتبة**[127]، فقلت:

وما ضربت عتبى لذنب أتت به ولكنما ولادة تشتهي ضربـي

فقامت تجر الذيل عاثرة بـه وتمسح طل الدمع بالعنم الرطب[128]

إن إقدام **ابن زيدون** على خيانة **ولادة** مع جاريتها السوداء بالذات، هو اقتران الطعنة الناجمة عن الخيانة بطعنة مماثلة أصابت كرامة الشاعرة البيضاء في الصميم. وهو ما يعكسه قولها **لابن زيدون** حين معرفتها بخيانته. لم تلبث أن تبدلت **ولادة لابن زيدون** وأذاقته بعد نعيم قربها جحيم هجرها[129]. ثم كتبت تدافع عن جمالها وتعاتب **ابن زيدون** قائلة:

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا لم تهو جاريتي ولم تتخيـر

وتركت غصنا مثمرا بجمالـه وجنحت للغصن الذي لم يثمر

ولقد علمت بأنني بدر السمـاء ولكن دهيت لشقوي بالمشتري[130]

أخيرا قررت **ولادة** أن تصم سمعها بشكل نهائي عن نداءات **ابن زيدون** ومناشداته لها بالعودة. فقد اقترنت مأساة الشاعر العاطفية بمأساة أخرى موازية حين زج به **ابن جهور** حاكم قرطبة في السجن بتهمة التآمر ضده، وبناء على دسيسة حاقدة يقال إن **ابن عبدوس** كان مهندسها الرئيسي. وفعلا حقق مبتغاه ردا على تلك الرسالة.

ابن زيدون كان ممن انتظموا حوله في حاشيته، ودسّ عليه حوالى سنة 430 هـ أنه يشترك في مؤامرة ضد **أبي الحزم جهور**"[131]. حشد خصوم الشاعر قواهم، وأحكموا أمرهم، فأدخلوا في روع الأمير أن الشاعر يتآمر على حكمه وأنه ضالع في الدعوة **لهشام** الخليفة المزعوم بإشبيلية، وكان الأمير قد نقض بيعته بعد إبرامها؛ ثم أوهموه بأن الشاعر أطلق لسانه في هجائه؛ وزعموا أن غشيانه مجالس **ولادة** غشيان مريب

126- **ديوان ابن زيدون**، شرح: يوسف فرحات، 331.

127- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج 1، 431.

128- **ديوان ابن زيدون**، شرح يوسف فرحات،331.

129- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج 1، 431- 432.

130- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **نزهة الجلساء في أشعار النساء**، اعتنى به: عبد اللطيف عاشور، (مكتبة القرآن، د.ت)، 88.

131- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ج 8، 282.

قد يخفي خلفه مؤامرات سياسية مع أقاربها الأمويين المخلوعين فاستجاب الأمير لهذه الدسائس، ولكنه يرد تقديمه للمحاكمة بهذه التهم، فإن من المسير إثباتها عليه بل استطاع الشاعر في قصائده ورسائله أن يوهن ما قامت عليه من أساس[132].

كان **ابن زيدون** زعيم الوزراء القرطبية، ونشأة دولتها السنية؛ حتى صار ملهج لسانها، وحل من عينها مكان إنسانها. وكان بينه وبين رئيسها الحسيب **أبي الحزم ابن جهور** ائتلاف الفرقدين، واتصال الأذن بالعين؛ فلما صار تدبير ملك قرطبة إليه، ومدار أمرها عليه؛ طلب **ابن زيدون** طلبا أصاره إلى الاعتقال؛ وقصره عن الوخد والإرقال[133]. وكان له فيه أمداح بهرت بنظامها، وظهرت كالبدور عند تمامها. فكتب إليه:

بني جهورٍ انتم سماء رياسة مناقبكم في أفقها أنجم زهر

طريقتكم مثلَى وهديكم رضا ومذهبكم قصد ونالمكم غمر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى وحلم ولا عجز وعز ولا كبر[134]

وتصادف أن اتهم **ابن زيدون** بالاستيلاء على عقار لبعض مواليه، وزج به **أبو الحزم** في السجن، واستعطفه برسالته الجدية وبقصائد مختلفة[135]، فأوحى الأمير إلى حاشيته قدرت له تهمة اغتصاب عقار، ولما كانت التهمة ملفقة فقد عين الأمير قاضيا خاصا أعده للحكم في هذه القضية هو **عبد الله بن أحمد بن المكوي** ويحدثنا عنه **ابن بشكوال** قائلا: "ولم يكن من القضاء في ورد، ولا صدرٍ لقلة علمه ومعرفته، وإنما كانت أثرة آثره بها لا حقيقة، ثم صرفه ابنه **أبو الوليد محمد بن جهور** عن ذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وأربع مئة. وبقي خاملا معطلا وركبته علة ذبول صعبة تردد فيها إلى أن توفي من علته تلك، فدفن بمقبرة **أم سلمة** عشي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من سنة ثمانٍ وأربعين وأربع مئة بالصيلم المشهورة بالأندلس، فشهده جمع الناس واثنوا عليه بالعفة والصيانة. وكان سنة السبعين أو دونها، وكانت مدة عمله في القضاء ثلاث سنين وشهرين واثني عشر يوما"[136].

من الطبيعي أن تكون هذه الأثرة لهدف خاص بحرص عليه الأمير، ولم يطلق عليه لقب القاضي لأنه غير جدير به، ولهذا نعته **ابن حيان** بأنه أحد حكام قرطبة، وقال فيه **ابن سعيد**: ولم يكن في نصاب القضاء وهو ممن آثر الخمول للدعة والفلاحة على الدراسة، وانطوى مع ذلك على العفة والصيانة، ولم يقبله إلا بعد جهد، ولم يطلق عليه اسم القضاء[137]. أما صفاته بعد ولاية القضاء فقد اكتسب صرامة وإعجابا حتى استخف بكثير من وجوه الناس، فجرت له بذلك خطوب من رجل قليل العلم نكد الخلق. وقد ألح الناس في صرفه حتى صرفه **أبو الوليد بن جهور** سنة 435 هـ[138].

---

[132]– أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 2، 1955م)، 268.

[133]– الوخد: الوَخْدُ للبَعِيرِ: الإسراعُ أَو هو أَنْ يَرْمِيَ بِقَوَائِمِه كمَشْيِ النَّعَامِ أَو هو سَعَةُ الخَطْوِ في المشْيِ (تاج العروس) – الإرقال: وأَرْقَلَت الدابةُ والناقة إرقالاً: أَسرعت. (معجم لسان العرب).

[134]– أبو الخطاب، عمر بن حسن الأندلسي الشهير بابن دحية الكلبي، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري – حامد عبد المجيد – أحمد أحمد بدوي، راجعه: طه حسين، (بيروت: دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، 1955م)، 167 – 168.

[135]– شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ج 8، 282.

[136]– أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، عني بنشره وصححه وراجع أصله: عزت العطار الحسيني، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 2، 1955م)، 268.

[137]– أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، ج 1، 160.

[138]– نفسه، 160.

ما كان القاضي يسمع المهمة وشاهد الإثبات حتى أمر بإلقاء الشاعر في السجن مخالفا الإجراءات القانونية المتبعة في هذا الزمان طبقا لمذهب الإمام **مالك**؛ وقد نبهه الشاعر دون جدوى إلى هذه المخالفات وأهمها:

1- اكتفى القاضي بشهادة شاهد واحد وهو مع هذا غير عدل، جرحه **ابن زيدون**.

2- لم يعط **لابن زيدون** فرصة للدفاع عن نفسه، وإظهار براءته، مع أن هذا حق معترف به في جميع الشرائع والقوانين.

3- أحس الشاعر بالجو المحيط به؛ فرض الصلح على الخصوم؛ وهو جائز بين المسلمين طبقا للحديث الشريف، ويندب للقاضي أن يسعى فيه، ولكن القاضي تهرب من هذا الموقف الحرج.

4- على أن التهمة - مع فرض ثبوتها – لا تجيز الحبس، فقد قرر الفقهاء أنه لا يجوز الحبس في الحق إذا تمكن الحاكم من استيفائه، والشاعر من الأثرياء.

5- لم يترك الفقهاء أمر الحبس فوضى، بل حددوا له أمدا لا يتجاوز عاما واحدا في أقسى العقوبات، ولكن حبس الشاعر لم يكن له أمد محدود، وقد طال حتى فر الشاعر من سجنه بعد أن قضى به خمسمائة يوم.

6- قدم الشاعر دليلا كتابيا بوثيقة تبرئه من التهمة فلم يلتفت إليها قاضيه.

7- طرح الشاعر في سجنه بين الأوغاد واللصوص بعد أن كان منفردا، عكس المسلسل طرح **ابن زيدون** مع الأوغاد، وبعد توسل **أبا الوليد ابن جهور** تحول من سجن جماعي إلى سجن انفرادي. "بحجرة فيه طبقا لنظام السجون الذي كان يميز بين طبقات المسجونين، وقد شكا الشاعر هذا دون فائدة أو غناء"[139].

يبدو أن الشاعر كان له عدد من الأعداء الذين ربما تسببوا كذلك في سجنه، وربما اتهم الشاعر بالعمل على الإطاحة بحكم **ابن جهور**[140]. لكنه في الرسالة الجدية التي كتبها إلى **ابن جهور** من السجن على أمل أن يستثير عطف الحاكم ليطلق سراحه، يشير مدافعا عن نفسه إلى تهمة تقول إنه قد استولى على تركة ميت ثري، وهو ما ينكره. بقي **ابن زيدون** أكثر من 500 يوم في السجن[141].

استعطف **ابن زيدون أبا الحزم** بقصائد عدة، ولعل أولى هذه القصائد اللامية التي نظمها في مفتتح حياته التعسة بسجنه، يلتمس الرحمة من كائنات ويدعوها لمشاركته عواطفه ومشاعره، صعابه ومآسيه، فالغمام آن له أن يبكي على مصابه، ويطلب من البرق الثأر له، وتقيم أنجم الليل المآتم نادبة ما تعرض له الشاعر من عناء السجن، ولو أنصفته هذه النجوم التي هي كفؤ لهمته لتهاوت من أبراجها لما ناله من ذل وضير:

ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي ويطلب ثأري البرق منصلت النصل

وهلا أقامت أنجم الليل مأتما لتندب في الآفاق ما ضاع من نثلي

ولو أنصفتني وهي أشكال همتي لألقت بأيدي الذل ما رأت ذلي[142]

---

[139]- **ديوان ابن زيدون ورسائله**، تحقيق: علي عبد العظيم، 40- 41.

[140]- جودت الركابي، **في الأدب الأندلسي**، 176- 177- 180

[141]- سلمى الخضراء الجيوسي، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، "الشعر الأندلسي العصر الذهبي"** ج 1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 1998م)، 514- 515.

[142]- **ديوان ابن زيدون ورسائله**، تحقيق: علي عبد العظيم،261.

ينتقل الشاعر للحديث عن حال الزمن الذي لا ينصف ذوي الأفهام والعقول، وكأن بينه وبينهم ثأرا، فيسلط عليهم أعداءهم من الجهلة والسفهاء، وفي هذا يقول:

أخص لفهمي بالقلى وكأنمـــا يبيت لذي الفهم الزمان على ذحـل

ولو أنني أسطيع كي أرضي العدا شريت ببعض الحلم حظا من الجهل[143]

نظم **ابن زيدون** هذه القصيدة الفياضة بالألم واللوعة والحزن وهو في السجن، وبعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب **أبي حفص برد**. وهو أمر أغفله المخرج، وتغاضى عنه. و"له عند ثقافة، وفقد الوفاء من الآفة، يخاطب **أبا حفص بن برد** وقد حار، ولم يجد هاديا، وصار رهينا لا يرجو فاديا، وعلم أن الناس متقلبون، وعلى من انقلب الدهر منقلبون، لا يدنيهم في الشدة إخاء، ولا يثنيهم عن ذي الحظوة زهو ولا انتخاء، رمل مجزوء:

ما على ظي باس يجرح الدهر وياسو

ربما أشرف بالمر على الأمال يـاس

ولقد ينجيك إغفا ل ويؤذيك احتراس

ولكم أجدى قعود ولكم أكدى التماس[144]

كما نظم **ابن زيدون** قصائد شعرية فياضة بالعشق واللوعة والاشتياق إلى معشوقته **ولادة** في سجنه، أجملها في بيتين رائعين:

أغائبة عني وحاضرة معـي أناديك لما عيل صبري فاسمعي

صليني بعد الوصل حتى تبيني حقيقة حالي ثم ما شئت فاصنعي[145]

تبالغ كتب تاريخ الأدب الأندلسي في قضية حب **ابن زيدون لولادة بنت المستكفي** التي قابلها في مجلسها الأدبي. ويبدو أنه كانت له معها علاقة حميمة لفترة من الزمن. لكن بعض الدراسات تذكر أن **ولادة** نفسها سرعان ما وضعت حدا لتلك العلاقة. وتروى عدة أسباب لهذا التغير في المشاعر بين الاثنين. فمن قائل بوجود حادثة غير تافهة، ومن مشير إلى نشاط سياسي سابق قام به **ابن زيدون** في مناهضة الخلافة، بينما يذكر آخرون؛ يشير إليه **ابن زيدون** عدة مرات في شعره ونثره، وجود منافسة مع الوزير الغني القوي **أبي عامر بن عبدوس** معاصره الذي يكبره سنا وكان يوما صديقا له، ويبدو أنه أي **ابن عبدوس** قد نال حظوة عند **ولادة**، بل ربما كان يمدها بصلاته. وإذ تتضارب الأقوال ربما يكون من الأسلم القول إن الفراق قد حصل نتيجة لمزاج العاشقين وتقلبات الحياة السياسية، وربما كان **ابن عبدوس**، كما أشيع، قد سعى لدى **ابن جهور** ضد الشاعر. ففي شعره، كما في الرسالة الهزلية الشهيرة التي كتبها **ابن زيدون** إلى **ابن عبدوس**، يؤنب الشاعر الوزير، ويكاد ينهال عليه بالعتاب القارص أحيانا[146]. قرّعه فيها وتهكم به، حتى صار يحفظها الناس لبلاغتها وقوة لذعها. وهي مشهورة تعرف باسم: "رسالة ان زيدون" وهي مطبوعة في كتاب على حدة، مشروحة بقلم **ابن نباتة المصري**.

---

[143]- نفسه، 262.

[144]- أبو نصر الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان**، ج 1، 75. **ديوان ابن زيدون**، تحقيق: عبد الله سنده، بيروت: دار المعرفة، ط 1، 2005م)، 87. **ديوان ابن زيدون، رسائله وأخباره شعر الملكين**، شرح وتحقيق: كامل كيلاني، عبد الرحمن خليفة، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 1، 1932م)، 57.

[145]- **ديوان ابن زيدون**، شرح: يوسف فرحات، 163. **ديوان ابن زيدون ورسائله**، تحقيق: علي عبد العظيم، 167.

[146]- جودت الركابي، **في الأدب الأندلسي**، 176- 177- 180.

بقيت **ولادة** على ولاء **ابن زيدون** أكثر مدة إقامته بقرطبة، فلما فر إلى إشبيلية تودد إليها **ابن عبدوس**، فاتصل بينهما وداد ربما قد بلغ درجة العشق. وكان **ابن عبدوس** قبل فرار **ابن زيدون** يسعى مرات ومرات في استمالتها إليه، فلم يكن يقدر على ذلك. **ولابن زيدون** قصائد عصماء شهيرة نظمها في **ولادة**، يتشوق إليها بعد فراره إلى إشبيلية، ويذكر لها ما يعانيه من فراقها ويأسه من لقائها، ويستديم عهدها، يطول الحديث عنها.

على سبيل الختم:

قلّما ما حملت علاقة عاطفية بين عاشقين دلالات اجتماعية وسياسية ونفسية، مقدار ما حملته علاقة العشق التي ربطت بين **ابن زيدون** و**ولادة بنت المستكفي**، فلم يكن بالأمر المفاجئ أن تؤول هذه العلاقة إلى فشل محقق؛ كون نرجسية كل منهما وطبعه المزاجي كانا يضعانهما في حالة من التصادم والنشاز. فأي قراءة معمقة لهذه العلاقة لا يمكن أن تتم إلا في ضوء معطيين اثنين؛ الأول: موقع ثقافي وطبقي متميز لكل من العاشقين اللذين ينتميان إلى أعرق الأسر بالأندلس، والثاني: ظروف سياسية شهدها مسرح العلاقة بين الطرفين.

لم يكن بالأمر المفاجئ أن تؤول العلاقة بين **ولادة** و**ابن زيدون** إلى فشل محقق، شأنهما في ذلك شأن شعراء ومبدعين كثيرين، لأن نرجسية كل منهما وطبعه المزاجي يصعب وضع حد لها إلا بالفراق، وإذا كان **ابن زيدون** قد دفع القسط الأوفر من تكلفة هذه العلاقة التي حولته بالتدريج إلى بطل تراجيدي أكثر من درامي، وما خسره على مستوى العشق ربحه بالمقابل على مستوى الشعر.

طال عمر **ولادة بنت المستكفي** وعمر **أبي عامر بن عبدوس**، حتى أربيا على الثمانين ولم يدعا المواصلة ولا المراسلة. وكانت أولا تهوى الوزير **ابن زيدون**، ثم مالت عنه إلى الوزير **أبي عامر ابن عبدوس**[147]، وقد ظل محروما لا يتوانى عن طلب وصالها، حتى أزرى بها الزمان لدخولها سن ذبول الجمال، وذهاب الشباب، وحلول خريف العمر بالشيخوخة، فظل يتحمل مسؤوليتها، ويستر عيوب كبرها، وحاجتها ماديا ومعنويا، يحمل كلّها، ويرفع ظلها، تاركا للتاريخ سيرة حسنة وفعلا ظريفا ووفاء يضرب به المثل.

ظلت **ولادة** طيلة حياتها العامرة بالسنين قمرا يطلع، ويأفل في عيون خطاب ودّها، وشمسا تشرق وتغيب في خيال عشاقها، وقد تركت وفاتها فراغا كبيرا في نفوس محبيها، ولم تتزوج قطّ، تاركة خلفها قصة يستلهمها الشعراء والعشاق، ويسلك في غورها الأدباء والكتاب.

تبقى الأمير الشاعرة **ولادة** من الشاعرات اللّواتي جهرن بالعشق في زمن الصمت، ذلك الزمن الذي بدأت تسود فيه القواعد الشرعية على ما عداها من قواعد اجتماعية في مجتمع عرف في الأصل التقاليد الصارمة في أعراف قبلية عريقة، وقد عمدت في هذا العمل بيان سيرتها، وسيرة من عشقناها، وإبراز قصة عشقها الذي جهرت به في ثوب المعالجة الدرامية الصادقة مستشهدا بالشعر، وبالأحداث التاريخية.

147 – محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، ج 4، (بيروت: دار صادر، ط 1، 1974م)، 252.